رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطي قرابته، وإن قرابتى أهل عيلة وقلة معاش فأعطيتهم، فإن رأيتم ذلك خطأ فردوه. فقالوا: أعطيت عبد الله بن خالد بن أسيد خمسين ألفا، ومروان خمسة عشر ألفا. قال : آخذ ذلك منهما. فانصرفوا راضين.
وقال له معاوية: اخرج معي إلى الشام قبل أن يهجم عليك ما لا تطيقه. قال لا ابتغي بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلاً قال: فابعث إليك جندا يقيمون معك. قال :لا أضيق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاوية: لتغتالن ولتعيرن، قال: حسبي الله ونعم الوكيل. ثم سار معاوية ومر على عليّ وطلحة والزبير فوصاهم بعثمان وودعهم ومضى.
وكان المنحرفون عن عثمان بالأمصار قد تواعدوا عند مسير الأمراء إلى عثمان أن يثبوا عليه في مغيبهم. فرجع الأمراء ولم يتهيأ لهم ذلك. وجاءتهم كتب من المدينة ممن صار إلى مذهبهم في الإنحراف عن عثمان إن اقدموا علينا فإن الجهاد عندنا، فتكاتبوا من أمصارهم في القدوم إلى المدينة، فخرج المصريون وفيهم عبد الرحمن بن عديس البلوي في خمسمائة وقيل في ألف، وفيهم كنانة بن بشر الليثي وسوادن بن حمران السكوني وميسرة أو قيترة بن فلان السكوني، وعليهم جميعاً الغافقي بن حرب العكي.
وخرج أهل الكوفة وفيهم زيد بن صوحان العبدي والأشتر النخعي وزياد بن النضر الحارثي وعبد الله بن الأصم العامري. وخرج أهل البصرة وفيهم حكيم بن جبلة العبدي وزريح عباد وبشر بن شريح القيسي، وابن المحرش، وعليهم حرقوص بن زهير السعدي، وكفهم في مثل عدد أهل مصر.
وخرجوا جميعا في شوال مظهرين للحج، ولما كانوا من المدينة على ثلاثة مراحل تقدم ناس من أهل البصرة، وكان هواهم في طلحة فنزلوا ذا خشب، وتقدم ناس من أهل الكوفة: وكان هواهم في الزبير فنزلوا الأعوص، ونزل معهم ناس من أهل مصر وكان هواهم في عليّ، وتركوا عامتهم بذي المروة. وقال أبو زياد بن النضر وعبد الله بن الأصم في أهل الكوفة لا تعجلوا حتى ندخل المدينة فقد بلغنا انهم عسكروا لنا، فوالله إن كان حقا لا يقوم لنا أمر.
ثم دخلوا المدينة ولقوا عليا وطلحة والزبير وأمهات المؤمنين وأخبروهم أنهم إنما أتوا للحج، وأن يستعفوا من بعض العمال،

واستأذنوا في الدخول فمنعوهم ورجعوا إلى أصحابهم وتشاوروا في أن يذهب من أهل الكوفة وكل مصر فريؤ، إلى أصحابهم كياداً

وطلباً في الفرقة. فأتى المصريون عليا وهو في عسكره عند أحجار الزيت، وقد بعث إليه الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع عليه فعرضوا عليه أمرهم، فصاح بهم وطردهم وقال: إن جيش في المروة وذي خشب والأعوص ملعونون على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد علم ذلك الصالحون. وأتى البصريون طلحة والكوفيون الزبير فقالا مثل ذلك، فانصرفوا وافترقوا عن هذه الأماكن إلى عسكرهم على بعد. فتفرق أهل المدينة فلم يشعروا إلا والتكبير في نواحيها وقد هجموا وأحاطوا بعثمان، ونادوا بأمان من كف يده.

وصلى عثمان بالناس أياما، ولزم الناس بيوتهم ولم يمنعوا الناس من كلامه. وغدا عليهم عليّ فقال: ما ردكم بعد ذهابكم؟ قالوا: أخذنا تحابا مع يزيد بقتلنا. وقال المصريون لطلحة والكوفيون للزبير مثل مقالة أهل مصر وإنهم جاءوا لينصروهم. فقال لهم عليّ: كيف علمتم بما لقي أهل مصر وكلكم على مراحل من صاحبه حتى رجعتم علينا جميعا؟ هذا أمر أبرم بليل: فقالوا: اجعلوه كيف شئتم، لا حاجة لنا بهذا الرجل ليعتزلنا وهم يصلون خلفه، ومنعوا الناس من الإجتماع معه.

وكتب عثمان إلى أهل الأمصار شحثهم، فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهرفي، وبعث عبد الله بن أبي سرح معاوية بن جريح، وخرج من الكوفة القعقاع بن عمرو، وتسابقوا إلى المدينة على الصعب والذلول. وقام بالكوفة نفر يحضون على إعانة أهل المحدينة، فمن الصحابة عقبة بن عامر وعبد الله بن أبي أوفى وحنظلة الكاتب، ومن التابعين مسروق الأسود وشريح وعبد الله،؟ بن حكيم. وقام بالبصرة في ذلك عمران بن حصين وأنر بن مالك وهشام بن عامر، ومن التابعين كعب بن سوار وهرم بن حبان. وقام بالشام وبمصر جماعة أخرى من الصحابة والتابعين. ثم خطب عثمان في الجمعة القابلة وقال: يا هؤلاء! الله، الله! فوالله إن أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد فامحوا الخطأ بالصواب. فقال محمد بن مسلمة أنا أشهد بذلك، فأقعده حكيم ابن جبلة. وقام ريد بن ثابت فأقعده آخر، وحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد، وأصيب عثمان بالحصباء فصرخ، وقاتل دونه سعد بن أبي وقاص والحسين وزيد بن ثابت

وأبو هريرة. ودخل عثمان بيته وعزم عليهم في الإنصراف فانصرفوا. ودخل عليّ وطلحة والزبير على ضمان يعودونه وعنده ففر من بني أمية فيهم مروان فقالوا لعلي: أهلكتنا

وصنعت هذا الصنع، والله لئن بلغت الذي تريد لتحزن عليك الدنيا، فقام مغضبا، وعادوا إلى منازلهم.
وصفى عثمان بالناس وهو محصور ثلاثين يوماً. ثم منعوه الصلاة وصلى بالناس أمير المصريين الغافقي بن حرب العكي. وتفرق أهل المدينة في بيوتهم وحيطانهم ملازمين للسلاح، وبقي الحصار أربعين يوما. وقيل بل أفر عثمان أبا أيوب الأنصاري فصلى أياما. ثم صفى عليّ بعده بالناس وقيل أمر عليا سهل بن حنيف فصلى عشر ذي الحجة، ثم صفى العيد والصلوات حتى قتل عثمان. وقد قيل في حصار عثمان: إن محمد بن أبي بكر ومحمد بن حذيفة كانا بمصر يحرضان على عثمان. فلما خرج المصريون في رجب مظهرين للحج ومضمرين قتل عثمان أو خلعه، وعليهم عبد الرحمن بن عديس البلوي، كان فيمن خرج مع المصريين محمد بن ابي بكر. وبعث عبد الله بن سعيد في آثارهم وأقام محمد بن أبي حذيفة بمصر. فلما كان ابن أبي سرح بأيلة بلغه أن المصريين رجعوا إلى عثمان فحصروه، وأن محمد بن أبي حذيفة غلب على مصر، فرجع سريعاً إليهما فمنع منهما فأتى فلسطين وأقام بها حتى قتل عثمان.
وأما المصريون فلما نزلوا ذا خشب جاء عثمان إلى بيت عليّ ومت إليه بالقرابة في أن يركب إليهم ويردهم لئلا تظهر الجرأة منهم فقال له عليّ: قد كلمتك في ذلك فأطعت أصحابك وعصيتني!- يعني مروان ومعاوية وابن عامر وابن أبي سرح وسعيد- فعلى أي شيء أردهم؟ فقال على أن أصير إلى ما تراه وتشيره، وأن أعصي أصحابي وأطيعك. فركب عليّ في ثلاثين من المهاجرين والأنصار فيهم سعد بن زيد وأبو جهم العدوي وجبير بن فطعم وحكيم بن حزام ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن عتاب، ومن الأنصار أبو أسيد الساعدي وابو حميد وزيد بن ثابت وحسان وكعب بن مالك، ومن العرب دينار بن مكرز. فأتوا المصريين وتولى الكلام معهم عليّ ومحمد بن مسلمة. فرجعوا إلى مصر وقال ابن عديس لمحمد: أتوصينا بحاجة؟ قال تتفي الله وترد من قبلك عن أمانه، فقد وعدنا أن يرجع وينزع.
ورجع القوم إلى المدينة ودخل عليّ على عثمان وأخبره برجوع المصريين. ثم جاءه مروان من الغد فقال له: أخبر الناس بأن أهل مصر قد رجعوا وأن ما بلغهم عنك كان باطلا قبل أن تجيء الناس من الأمصار ويأتيك ما لا نطيقه ففعل. فلما خطب ناداه الناس كل ناحية: إتق الله يا عثمان وتب إلى الله، وكان أولهم عمرو بن العاص. فرفع

يده وقال لهم: إني تائب. وخرج عمرو بن العاص إلى منزله بفلسطين، ثم جاء الخبر بحصاره وقتله. وقيل: إن عليا لما رجع عن المصريين أشار على عثمان أن يسمع الناس ما اعتزم عليه من النزوع قبل أن يجيء غيرهم ففعل وخطب بذلك، وأعطى الناس من نفسه التوبة وقال: أنا أول من أتعظ، استغفر الله مما فعلت وأتوب اليه، فليأت أشرافكم يروني رأيهم، فوالله إن ردني الحق عبداً لأستن بسنة العبد ولأذلن ذل العبد، وما عن الله مذهب الا إليه. فوالله لأعطينكم الرضى ولا أحتجب عنكم. ثم بكى وبكى الناس ودخل منزله.

فجاءه نفر من بني أمية يعذلونه في ذلك فوبختهم نائلة بنت الفرافصة، فلم يرجعوا إليها وعابوه فيما فعل واستذلوه في اقراره بالخطيئة والتوبة عند الخوف، واجتمع الناس في الباب وقد ركب بعضهم بعضا. فقال لمروان كلمهم! فأغلظ لهم في القول وقال: جئتم لنزع ملكنا من أيدينا. والله لئن رمتمونا ليمرن عليكم منا أمر لا يسركم ولا تحمدوا غب رأيكم، ارجعوا إلى منازلكم فإنا والله ما نحن مغلوبون على ما في أيدينا.

وبلغ الخبر عليا فنكر ذلك وقال لعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث: أسمعت خطبته بالأمس، ومقالة مروان للناس اليوم، يا لله ويا للناس! إن قعدت في بيتي قال تركتني وقرابتي وحقي، وإن تكلمت فجاء ما يزيد يلعب به مروان ويسوقه حيث يشاء بعد كبر السن وصحبة الرسول. وقام مغضبا إلى عثمان واستقبح مقالة مروان وانبه عليها وقال: ما أنا عائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك، فقد أذهبت شرفك وغلبت على رأيك. ثم دخلت عليه امرأته نائلة وقد سمعت قول عليّ، فعذلته في طاعة مروان وأشارت عليه باستصلاح عليّ، فبعث إليه فلم يأته.

فأتاه عثمان إلى منزله ليلاً يستلينه ويعده الثبات على رأيه معه، فقال: بعد أن أقام مروان على بابك يشتم الناس ويؤذيهم؟ فخرج عثمان وهو يقول خذلتني وجرأت عليّ الناس! فقال عليّ: والله إني أكثر الناس ذبا عنك، ولكني كلما جئت بشيء أظنه لك رضا جاء مروان بأخرى فسمعت قوله وتركت قولي.

ثم منع عثمان الماء فغضب عليّ غضبا شديدا حتى دخلت الروايا على عثمان، وقيل إن عليا كان عند حصار عثمان بخيبر فقدم والناس يجتمعون عند طلحة فجاءه عثمان وقال يا عليّ! إن لي حق الإخاء والقرابة والصهر، ولو كان أمر الجاهلية فقط لكان عارا

على بني عبد مناف أن تنزع تيم أمرهم فجاء عليّ إلى طلحة وقال ما هذا؟ فقال طلحة: ابعد ما مس الحزام الطبيين يا أبا حسن! فانصرف عليّ إلى بيت المال وأعطى الناس فبقي طلحة وحده. وسر بذلك عثمان وجاء إليه طلحة فقال له: والله ما جئت تائبا ولكن مغلوبا، فالله حسيبك يا طلحة.

وقيل إن المصريين لما رجعوا خرج إليهم محمد بن مسلمة فأعطوه صحيفة قالوا وجدناها عند غلام عثمان بالبويب، وهو على بعير من ابل الصدقة يأمر فيها بجلد عبد الرحمن بن عديس وعمرو بن الحمق وعروة بن البياع، وحبسهم وحلق رؤوسهم ولحاهم وصلب بعضهم. وقيل وجدت الصحيفة بيد أبي الأعور السلمي. فعاد المصريون وعاد معهم الكوفيون والمصريون، وقالوا لمحمد بن مسلمة حين سألهم: قد كلمنا عليا وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد فوعدونا أن يكفموه، فليحضر عليّ معنا عند عثمان. ثم دخل عليّ ومحمد على عثمان وأخبروه بقول أهل مصر فحلف ما كتب ولا علم.

ففال محمد: صدق! هذا من عمل مروان. ودخل المصريون، فشكا ابن عديس بابن أبي سرح وما أحدثه بمصر، وأنه ينسب ذلك إلى كتاب عثمان، وإنا جئنا من مصر لقتلك فردنا عليّ ومحمد وضمنا لنا النزوع عن هذا كله، فرجعنا ولقينا هذا الكتاب وفيه أمرك لابن أبي سرح بجلدنا والمثلة بنا وطول الحبس، وهو بيد غلامك وغليه خاتمك. فحلف عثمان ما كتب ولا أمر ولا علم. قالوا فكيف يجترىء عليك بمثل هذا؟ فقد استحقيت الخلع على التقديرين، ولا يحل أن يولى الأمور من ينتهي إلى هذا الضعف فاخلع نفسك. فقال لا أنزع ما ألبسني الله، ولكن أتوب وأرجع.

قال: رأيناك تتوب وتعود فلا بد من خلعك أو قتلك، وقتال أصحابك دون ذلك إلى أن يخلص إليك أو تموت. فقال :لا ينالكم أحد بأخرى ولو أردت ذلك لاستجشت بأهل الأمصار. ثم كثر اللغط وأخرجوا ومضى عليّ إلى منزله، وحصر المصريون عثمان وكتب إلى معاوية وابن عامر يستحثهم. وقام يزيد بن أسد القسري فاستنفر أهل الشام وسار إلى عثمان وبلغهم تله برادي القرى فرجعوا وقيل سار من الشام حبيب بن مسلمة، ومن البصرة مجاشع بن مسعود فبلغهم قتله بالربذة فرجعوا.

وكان بطانة عثمان أشاروا عليه أن يبعث إلى عليّ في كفهم عنه على الوفاء لهم،

فبعث إليه في ذلك فأجاب بعد توقف. ثم بعث إليهم فقالوا :لا بد أن تتوثق منه، وجاءه فأعلمه وتوثق منه، على أجل ثلاثة أيام. وكتب بينهم كتاباً على رد المظالم وعزل من كرهوه من العمال. ثم مضى الأجل وهو مستعد ولم يغير شيئا، فجاءه المصريون من ذي خشب بستنجزون عهدهم فأبى فحصروه.

وأرسل إلى عليّ وطلحة والزبير وأشرف عليهم فحياهم ودعا لهم ثم قال: أنشدكم الله تعالى هل تعلمون أنكم دعوتم الله عند مصاب عمر أن يختار لكم وبجمعكم على خيركم؟ أتقولون إنه لم يستجب لكم، أو تقولون إن الله لم يبال بمن ولى هذا الدين، أم تقولون ان الأمة ولو مكابرة وعن غير مشورة فوكلهم إلى أمرهم. أو لم يعلم عاقبة أمري! ثم أنشدكم الله هل تعلمون لي من السوابق ما يجب حقه! فمهلا فلا يحل إلا قتل ثلاثة: زان بعد إحصان، وكافر بعد إيمان، وقاتل بغير حق. ثم إذا قتلتموني وضعتم السيف على رقابكم، ثم لا يرفع الله عنكم الاختلاف.

فقالوا له: أما ذكرت من الاستخارة بعد عمر فكل ما صنع الله تعالى فيه الخيرة، ولكن الله ابتلى بك عباده. وأما حقك وسابقتك فصحيح، لكن أحدثت ما علمت، ولا تترك إقامة الحق مخافة الفتنة عاما قابلا. وأما حصر القتل في الثلاثة ففي كتاب الله: قتل من سعى في الأرض فسادا، ومن قاتل على البغي وعلى منع الحق والمكابرة عليه، وأنت إنما تمسكت بالأمارة علينا، وإنما قاتل دونك هؤلاء بهذه التسمية، فلو نزعتها انصرفوا. فسكت عثمان ولزم الدار، وأقسم على الناس بالانصراف فانصرفوا إلا الحسن بن عليّ ومحمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير، وكانت مدة الحصار أربعين يوما. ولثمان عشرة منها وصل الخبر بمسير الجنود من الأمصار فاشتد الحصار ومنعوه من لقاء الناس ومن الماء. وأرسل إلى عليّ وطلحة والزبير وأمهات المؤمنين يطلب الماء. فركب عليّ إليهم مغلساً وقال: يا أيها الناس إن هذا لا يشبه أمر المؤمنين ولا الكافرين! وإن الأسير عند فارس والروم يطعم ويسقى. فقالوا لا والله ونعمة عين، فرجع وجاءت أم حبيبة على بغلتها مشتملة على أداوة وقالت: أردت أن أسأل هذا الرجل عن وصايا عنده لبني أمية أو تهلك أموال أيتامهم وأراملهم فقالوا :لا والله وضربوا وجه البغلة فنفرت وكادت تسقط عنها، وذهب بها الناس إلى بيتها.

وأشرف عليهم عثمان وقرر حقوقه وسوابقه. فقال بعضهم: مهلا عن أمير

المؤمنين. فجاء الأشتر وفرق الناس وقال؟ لا يمكر بكم. ثم خرجت عائشة إلى الحج ودعت أخاها فأبى فقال له حنظلة الكاتب: تدعوك أم المؤمنين فلا تتبعها وتتبع سفهاء العرب فيما لا يحل؟ ولو قد صار الأمر إلى الغلبة غلبك عليه بنو عبد مناف. ثم ذهب حنظلة إلى الكوفة، وبلغ طلحة والزبير ما لقي عليّ وأم حجة فلزموا بيوتهم. وكان آل حزم يدسون الماء إلى بيت عثمان في الغفلات، وكان ابن عباس مفن لزم باب عثمان للمدافعة، فأشرف عليه عثمان وأمره أن يحج بالناس فقال: جهاد هؤلاء أحب إلي! فأقسم عليه وانطلق.
ولما رأى أهل مصر أن أهل الموسم يريدون قصدهم، وأن أهل الأمصار يسيرون إليهم اعتزموا على قتل عثمان رضي الله عنه وتقبل لهادتهم يرجون في ذلك خلاصهم، واشتغال الناس عنهم، فقاموا إلى الباب ليفتحوه فمنعهم الحسن بن عليّ ابن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان وسعيد بن العاص ومن معهم من أبناء الصحابة، وقاتلوهم وغلبوهم دون الباب. ثم صدهم عثمان في القتال وحلف ليدخلن فدخلوا وأغلق الباب فجاءوا بالنار وأحرقوه، ودخلوا وعثمان يصلي وقد افتتح سورة طه. وقد سار أهل الدار فما شغله شيء من أمرهم حتى فرغ وجلس إلى المصحف يقرأ فقرأ: {الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل }. ثم قال لمن عنده: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلي عهدا فأنا صابر عليه ومنعهم من القتال، وأذن للحسن في اللحاق بأبيه وأقسم عليه، فأبى وقاتل دونه. وكان المغيرة بن الأخنس بن شريق قد تعجل من الحج في عصابة لنصره فقاتل حتى قتل. وجاء أبو هريرة ينادي: يا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار، وقاتل. ثم اقتحمت الدار من ظهرها من جهة دار عمرو بن حزم فامتلأت قوماً ولا يشعر الذين بالباب، وانتدب رجل فدخل على عثمان في البيت فحاوره في الخلع فأبى، فخرج ودخل آخر ثم آخر كلهم يعظه فيخرج ويفارق القوم. وجاء ابن سلام فوعظهم فهفوا بقتله. ودخل عليه محمد بن أبي بكر فحاوره طويلا بما لا حاجة إلى ذكره، ثم استحيا وخرج. ثم دخل عليه السفهاء فضربه أحدهم وأكبت عليه نائلة إمرأته تتقي الضرب بيدها، فنفحها أحدهم بالسيف في أصابعها. ثم قتلوه وسال دمه على المصحف. وجاء غلمانه فقتلوا بعض أولئك القاتلين وقتلاء أخر وانتهبوا ما في البيت وما على النساء حتى ملاءة نائلة، وقتل الغلمان منهم، وقتلوا من الغلمان. ثم خرجوا إلى بيت المال فانتهبوه وأرادوا قطع رأسه فمنعهم النساء. فقال ابن عديس: اتركوه. ويقال إن الذي تولى قتله كنانة

بن بشر التجيبي. وطعنه عمرو بن الحمق طعنات. وجاء عمير بن ضابىء وكان أبوه مات في سجنه فوثب عليه حتى كسر ضلعا من أضلاعه. وكان قتله لثمان عشرة خلت من ذي الحجة، وبقي في بيته ثلاثة أيام.

ثم جاء حكيم بن حزام وجبير بن مطعم إلى عليّ فأذن لهم في دفنه، فخرجوا به بين المغرب والعشاء ومعهم الزبير والحسن وأبو جهم بن حذيفة ومروان فدفنوه في حش كوكب وصفى عليه جبير وقيل مروان وقيل حكيم. ويقال: إن ناسا تعرضوا لهم

ليمنعوا من الصلاة عليه فأرسل إليهم عليّ وزجرهم. وقيل إن عليا وطلحة حضرا جنازته، وزيد بن ثابت وكعب بن مالك.
وكان عماله عند موته على ما نذكره: فعلى مكة عبد الله بن الحضرمي، وعلى الطائف القاسم بن ربيعة الثقفي، وعلى صنعاء يعلى بن منية، وعلى المجند عبد الله بن ربيعة، وعلى البصرة والمجرين عد الله بن عامر، وعلى الشام معاوية بن أبي سفيان، وعلى حمص عبد الرحمن بن خالد من قبله، وعلى قنسرين حبيب بن مسلمة كذلك، وعلى الأردن أبو الأعور السلمي كذلك، وعلى فلسطين علقمة بن حكيم الكندي كذلك، وعلى البحرين عبد الله بن قيس الفزاري، وعلى القضاء أبو الدرداء، وعلى الكوفة أبو موسى الأشعري على الصلاة، والقعقاع بن عمرو على الحرب، وعلى خراج السواد جابر المزييئ، وسفالى الأنصاري على الخراج، وعلى قرقيسيا جرير بن عبد اللة، وعلى أذربيجان الاشعث بن قيس، وعلى حلوان عتيبة بن نهاس وعلى أصبهان السائب بن الأقرع، وعلى ماسبدان خنيس، وعلى بيت المال عقبة بن عمرو، وعلى القضاء زيد بن ثابت

بيعة عليّ رضي الله عنه

لما قتل عثمان اجتمع طلحة والزبير والمهاجرون والأنصار وأتوا عليا يبايعونه فأبى وقال: أكون وزيرا لكم خير من أن أكون أميرا، ومن اخترتم رضيته، فألحوا عليه وقالوا له :لا نعلم أحق منك ولا نختارغيرك حتى غلبوه في ذلك، فخرج إلى المسجد وبايعوه. وأول من بايعه طلحة ثم الزبير بعد أن خيرهما- ويقال إنهما ادعيا الإكراه بعد ذلك بأربعة أشهر وخرجا إلى مكة- ثم بايعه الناس وجاءوا بابن عمر فقال كذلك. فقال ائتني بكفيل قال لا أجده، فقال الأشتر دعني أقتله، فقال عليّ دعوه أنا كفيله.
وبايعت الأنصار، وتأخرّ منهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد وأبو

سعيد الخدري ومحمد بن مسلمة والنعمان بن بشير وزيد بن ثابت ورافع بن خديج وفصالة بن عبيد وكعب بن عجرة وسلمة بن سلامة بن وخش. وتأخر من المهاجرين عبد الله بن سلام وصهيب بن سنان وأسامة بن زيد وقدامة بن مظعون والمغيرة بن شعبة. وأما النعمان بن بشير فأخذ أصابع نائلة امرأة عثمان وقميصه الذي قتل فيه ولحق بالشام صريخاً.

وقيل إن عثمان لما قتل بقي الغافقى بن حرب أميرا على المدينة خمسة أيام والتمس من يقوم بالأمر فلم يحبه أحد، وأتوا إلى عليّ فامتنع، وأتى الكوفيون الزبير والبصريون طلحة فامتنعا. ثم بعثوا إلى سعد وابن عمر فامتنعا فبقوا حيارى ورأوا أن رجوعهم إلى الأمصار بغير إمام يوقع في الخلاف والفساد، فجمعوا أهل المدينة وقالوا: انتم أهل الشورى وحكمكم جائز على الأمة فاعقدوا الإمام ونحن لكم تبع، وقد أجلناكم يومين وإن لم تفعلوا قتلنا فلانا وفلانا وغيرهم يشيرون إلى الأكابر. فجاء الناس إلى عليّ فاعتذر وامتنع، فخوفوه الله في مراقبة الإسلام، فوعدهم إلى الغد.

ثم جاءوه من الغد. وجاء حكيم بن جبلة في البصريين فأحضر الزبير كرها، وجاء الأشتر في الكوفيين فأحضر طلحة كذلك، وبايعوا لعلي وخرج إلى المسجد وقال: هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أردتم، وقد افترقنا أمس وأنا كاره فأبيتم إلا أن أكون عليكم، فقالوا نحن على ما افترقنا لك عليه بالأمس فقال لهم: اللهم اشهد! ثم جاءوا بقوم ممن تخلف قالوا نبايع على إقامة كتاب الله. ثم بايع الحامة، وخطب عليّ وذكر الناس، وذلك يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة، ورجع إلى بيته فجاءه طلحة والزبير وقالا: قد اشترطنا إقامة الحدود فلتقمها على قتلة هذا الرجل فقال لا قدرة لي على شيء مما تريدوه حتى يهدأ الناس وتستقر ا أمور فتؤخذ الحقوق. فافترقوا عنه، وأكثر بعضهم المقالة في قتلة عثمان وباستناده إلى أربعة في رأيه. وبلغه ذلك فخطبهم وذكر فضلهم وحاجته إليهم ونظره لهم. ثم هرب مروان وبنو أمية ولحقوا بالشام، فاشتد على عليّ منع قريش من الخروج. ثم نادى في اليوم الثالث برجوع

الأعراب إلى بلادهم فأبوا وتذامرت معهم السبئية، وجاءه طلحة والزبير فقالا: دعنا نأت البصرة والكوفة فنستنفر الناس فأمهلهما. وجاء المغيرة فأشار عليه باستبقاء العمال حتى يستقر الأمر ويستبدلوا بمن شاء، فأمهله. ورجع من الغد، فأشار بمعاجلة الاستبدال. وجاءه ابن عباس فأخبره بخبر المغيرة فقال: نصحك أمس وغشك اليوم. قال: فما الرأي؟ قال: كان الرأي أن تخرج عند قتل الرجل أو قبل ذلك إلى مكة، وأما اليوم فإن بني أمية يشبهون على الناس بأن يلجموك طرفا من هذا الأمر ويطلبون ما طلب أهل المدينة في قتلة عثمان فلا يقدرون عليهم، والرأي أن تقر معاوية. فقال عليّ رضي الله عنه والله لا أعطيه إلا السيف.

فقال له ابن عباس: أنت رجل شجاع، لست صاحب رأي في الحرب. أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الحرب خدعة: قال بلى! فقال ابن عباس: أما والله إن أطعتني لأتركنهم ينظرون في دبر الامور ولا يعرفون ما كان وجهها من غير نقصان عليك ولا إثم لك. فقال يا ابن عباس: لست من هنياتك ولا هنيات معاوية في شيء. فقال ابن عباس ة أطعني والحق بمالك بينبع، وأغلق بابك عليك، فإن العرب تجول جولة وتضطرب ولا تجد غيرك. وإن نهضت مع هؤلاء اليوم يحملك الناس دم عثمان غدا. فأبى عليّ وقال: أشر عليّ وإذا خالفتك أطعني. قال: أيسر ما لك عندي الطاعة. قال: فسر إلى الشام فقد وليتكها. قال إذا يقتلني معاوية بعثمان أو يحبسني فيتحكم عليّ لقرابتي منك، ولكن أكتب إليه وعده فأبى. وكان المغيرة يقول: نصحته فلم يقبل، فغضب ولحق بمكة. ثم فرق عليّ العمال على الأمصار فبعث على البصرة عثمان بن حنيف، وعلى الكوفة عمارة بن شهاب من المحهاجرين، وعلى اليمن عبد الله بن عثاس، وعلى مصر قيس بن سعد، وعلى الشام سهل بن حنيف. فمضى عثمان إلى البصرة فدخلها واختلفوا عليه فأطاعته فرقة، وقال آخرون: ننظر ما يصنع أهل المدينة فنقتدي بهم. ومضى عمارة إلى الكوفة، فلما بلغ زبالة لقي طليحة بن خويلد فقال له: إرجع فإن القوم لا يستبدلون بأبي موسى وإلا ضربت عنقك. ومضى ابن عباس إلى اليمن فجمع يعلى بن منية مال الجباية

وخرج به الى مكة ودخل عبد الله إلي اليمن، ومضى قيس بن سعد إلى مصر ولقيه بايلة خيالة من أهل مصر فقالوا: من أنت؟ قال قيس بن سعد من فل عثمان أطلب من آوي إليه وانتصر به. ومضى حتى دخل مصر وأظهر أمره فافترقوا طيه، فرقة كانت معه، وأخرى تربصوا حتى يروا فعله في قتلة عثمان.

ومضى سهل بن حنيف إلى الشام حتى إذا كان بتبوك لقيته خيل فقال لهم: أنا أمير على الشام قالوا إن كان بعثك غير عثمان فارجع فرجع. فلما رجع وجاءت أخبار الآخرين دعا على طلحة والزبير وقال: قد وقع ما كنت أحذركم، فسألوه الإذن في الخروج من المدينة وكتب عليّ إلى أبي موسى مع معبد الأسلمي فكتب إليه بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم، ومن الكاره منهم والراضي حتى كأنه يشاهد. وكتب إلى معاوية مع سبرة الجهني فلم يجبه إلى ثلاثة أشهر من مقتل عثمان. ثم دعا قبيصة من عبس وأعطاه كتابا مختوماً عنوانه: من معاوية إلى عليّ وأوصاه بما يقول وأعاده مع رسول عليّ. فقدم في ربيع الأول، ودخل العبسي وقد رفع الطومار كما أمره حتى دفعه إلى عليّ ففضه فلم يجد فيه كتابا. فقال للرسول: ما وراءك؟ قال آمن أنا؟ قال نعم! قال تركت قوما لا يرضون إلا بالقود، قال ومفن؟ قال منك. وتركت ستين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان منصوبا على منبر دمشق.

فقال: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان! قد نجا والله قتلة عثمان إلا أن يشاء الله. ثم رده إلى صاحبه وصاحت السبئية: اقتلوا هذا الكلب وافد الكلاب. فنادى يا لمضر يا لقيس أحلف بالله ليردنها عليكم أربعة آلاف خصي، فانظروا كم الفحول والركاب وتقاووا عليه فمنعته مضر، ودس أهل المدينة على عليّ من يأتيهم برأيه في القتال، وهو زياد بن حنظلة التميمي وكان منقطعا إليه، فجالسه ساعة، فقال له عليّ: سيروالغزو الشام. فقال لعلي الأناة والرفق أمثل فتمثل يقول:

متى تجمع القلب الذكي وصارماً وانفاً حميا تجتنبك المظالم

فعلم أن رأيه القتال، ثم جاء إلى القوم الذين دسوه فأخبرهم ثم استأذنه طلحة والزبير في العمرة ولحقا بمكة. ثم اعتزم على الخروج إلى الشام ودعا أهل المدينة إلى قتالهم.

وقال: انطلقوا إلى هؤلاء القوم الذين يريدون تفريق جماعتكم، لعل الله يصلح بكم ما أفسد أهل الآفاق وتقضون الذي عليكم. وأمر الناس بالتجهز إلى الشام، ورفع اللواء لمحمد بن الحنفية، وولى عبد الله بن عباس ميمنته وعمرو بن أبي سلمة ميسرته، ويقال بل عمرو بن سفيان بن عبد الاسد وولى أبا ليلى بن عمرو بن الجراح ابن أخي عبيدة مقدمته، ولم يول أحداً مفن خرج على عثمان. واستخلف على المدينة تمام بن العبّاس، وعلى مكة قثم بن العبّاس. وكتب إلى قيس بن سعد بمصر وعثمان بن حنيف بالبصرة وأبي موسى بالكوفة أن يندبوا الناس إلى الشام، وبينما هو على التجهيز للشام إذ أتاه الخبر عن أهل مكة بنحو آخر وانهم على الخلاف فانتقض عن الشام.

أمر الجمل

ولما جاء خبر مكة إلى عليّ قام في الناس وقال: ألا إنّ طلحة والزبير وعائشة قد تمالأؤا على نقض إمارتي ودعوا الناس إلى الإصلاح، وسأصبر ما لم أخف على جماعتكم واكف إن كفوا واقتصد نحوهم. وندب أهل المدينة فتثاقلوا وبعث كميلا النخعي فجاءه بعبد الله بن عمر فقال: إنهض معي، فقال أنا من أهل المدينة افعل ما يفعلون. قال: فاعطني كفيلا بأنك لا تخرج قال ولا هذه، فتركه ورجع إلى المدينة. وخرج إلى مكة وقد أخبر أخته أم كلثوم بما سمع من اهل المدينة في تثاقلهم وأنه على طاعة على ويخرج معتمرا، وجاء الخبر من الغداة إلى على بأنه خرج إلى الشام فبعث في أثره على كل طريق، وماج اهل المدينة وركبت أم كلثوم إلى أبيها وهو في السوق يبعث الرجال ويظاهر في طلبه، فحدثته فانصرف عن ذلك. ووثق فيما قاله ورجع إلى اهل المدينة فخاطبهم وحرّضهم فرجعوا إلى إجابته. وأول من أجابه أبو الهيثم بن التيهان البدري، وخزيمة بن ثابت وليس بذي الشهادتين. ولما رأى زياد بن حنظلة تثاقل الناس عن عليّ انتدب إليه وقال: من تثاقل عنك فإنا نخفّ معك ونقاتل دونك.

وكان سبب إجتماعهم بمكّة أن عائشة كانت خرجت إلى مكّة وعثمان محصور كما قدمناه، فقضت نسكها وانقلبت تريد المدينة، فلقيت في طريقها رجلا من بني ليث أخوالها فأخبرها بقتل عثمان وبيعة عليّ فقالت: قتل عثمان والله ظلما ولأطلبن بدمه فقال لها الرجل ولم أنت كنت تقولين ما قلت؟ فقالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه وانصرفت إلى مكة.

وجاءها الناس فقالت: إن الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلما ونقموا عليه استعمال من حدثت سنه، وقد استعمل أمثالهم من كان قبله ومواضع من الحمى حماها لهم، فتابعهم ونزع لهم عنها. فلما لم يجدوا حجة ولا عذراً بادروا بالعدوان، فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام، وأخذوا المال الحرام. والله لأصبع من عثمان خير من طباق الارض أمثالهم، ولو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنبا لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه. فقال عبد لله بن عامر الحضرمي وكان عامل مكة لعثمان: أنا أول طالب فكان أول مجيب وتبعه بنو أميه وكانوا هربوا إلى مكة بعد قتل عثمان: منهم سعيد بن العاص والوليد بن عقبة. وقدم عليهم عبد الله بن عامر من البصرة بمال كثير ويعلى بن منية من اليمن بستمائة بعير وستمائة ألف فأناخ بالابطح.

ثم قدم طلحة والزبير من المدينة فقالت لهما عائشة: ما وراءكما؟ قالا تحملنا هرباً من المدينة من غوغاء وأعراب غلبون على خيارهم فلم يمنعوا انفسهم ولا يعرفون حقاً ولا ينكرون باطلا. فقالت: انهضوا بنا إليهم وقال آخرون: نأتي الشام. فقال ابن عامر: إن معاوية كفاكم الشام فأتوا البصرة فلي بها صنائع ولهم في طلحة هوى، فنكروا عليه مجيئه من البصرة واستقام رأيهم على رأيه وقالوا: إن الذين معنا لا يطيقون من بالمدينة، ويحتجون ببيعة على، وإذا أتينا البصرة انهضناهم كما انهضنا اهل مكة وجاهدنا، فاتفقوا ودعوا عبد الرحمن بن عمر إلى النهوض فأبى وقال: أنا من اهل المدينة أفعل ما يفعلون.

وكانت أمهات المؤمنين معها على قصد المدينة. فلما نهضت إلى البصرة قعدوا عنها، وأجابتها حفصة فمنعها أخوها عبد الله. وجهزهم ابن عامر بما معه من المال، ويعلى بن منية بما معه من المال والظهر. ونادوا في الناس

بالحملان، فحملوا على ستمائة بعير وساروا في ألف من اهل مكة ومن اهل المدينة. وتلاحق بهم الناس فكانوا ثلاثة آلاف، وبعثت أمّ الفضل أم عبد الله بن عباس بالخبر استأجرت على كتابها من أبلغه عليّا، ونهضت عائشة ومن معها، وجاء مروان بن الحكم إلى طلحة والزبير فقال على أيكما أسلم بالإمرة وأؤذن بالصلاة فقال ابن الزبير: على أبي، وقال ابن طلحة: على أبي، فأرسلت عائشة إلى مروان تقول له: أتريد أن تفرق أمرنا ليصل بالناس ابن أختي تعني عبد الله بن الزبير. وودع أمهات المؤمنين عائشة من ذات عرق باكيات، وأشار سعيد بن العاص على مروان بن الحكم وأصحابه بإدراك ثأرهم من عائشة وطلحة والزبير. فقالوا: نسير لعلنا نقتل قتلة عثمان جميعا.

ثم جاء إلى طلحة والزبير فقال لمن تجعلان الأمر إن ظفرتما؟ قالا: لأحدنا الذي تختاره الناس. فقال: بل اجعلوه لولد عثمان لأنكم خرجتم تطلبون بدمه فقالا: وكيف ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم؟ قال: فلا أراني أسعى الا لإخراجها من بني عبد مناف. فرجع ورجع عبد الله بن خالد بن أسيد، ووافقه المغيرة بن شعبة ومن معه من ثقيف. فرجعوا ومضى القوم ومعهم أبان والوليد إبنا عثمان. واركب يعلى بن منية عائشة جملاً اسمه عسكر اشتراه بمئة دينار، وقيل بثمانين، وقيل بل كان لرجل من عرينة عرض لهم بالطريق على جمل فاستبدلوا به جمل عائشة على أن حمله بألف، فزادوه أربعمائة درهم وسألوه عن دلالة الطريق، فدلهم ومر بهم على ماء الحوأب فنبحتهم كلابه. وسألوه عن الماء فعرفهم باسمه.

فقالت عائشة: ردوني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعنده نساؤه: ليت شعري أيتكن تنبحها كلاب الحوأب؟ ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته وأقامت بهم يوما وليلة إلى أن قيل النجاء! النجاء! قد أدرككم عليّ فارتحلوا نحو البصرة. فلما كانوا بفنائها لقيهم عمير بن عبد الله التميمي، وأشار بأن يتقدم عبد الله بن عامر إليهم، فأرسلته عالة وكتبت معه إلى رجال من البصرة: إلى الاحنف بن قيس وسمرة وأمثالهم وأقامت بالحفيين تنتظر الجواب.

ولما بلغ ذلك أهل البصرة دعا عثمان بن حنيف عمران بن حصين وكان رجلا عامّة، وأبا الأسود الدؤليّ وكان

رجلا خاصّة وقال: انطلقا إلى هذه المرأة فاعلما علمها وعلم من معها، فجاءاها بالحفير وقالا: إن أميرنا بعثنا نسألك عن مسيرك فقالت: إن الغوغاء ونزاع القبائل فعلوا ما فعلوا. فخرجت في المسلمين أعلمهم بذلك وبالذي فيه الناس وراءنا، وما ينبغي من إصلاح هذا الأمر. ثم قرأت : {لا خير في كثير من نجواهم } [الآية....]

ثم عدلا عنها إلى طلحة فقالا ما أقدمك؟ قال الطلب بدم عثمان! فقالا: ألم تبايع عليا؟ قال بلى والسيف على رأسي، وما استقبل على البيعة إن هو لم يخل بيننا ربين قتله عثمان. وقال لهما الزبير مثل ذلك، ورجعا إلى عمان بن حنيف فاسترجع وقال. دارت رحى الإسلام ورث الكعبة. ثم قال: أشيروا عليّ! فقال عمران اعتزل قال بل امنعهم حتى يأتي أمير المؤمنين. فجاءه هشام بن عامر فأشار عليه بالمسالمة والمسامحة حتى يأتي أمر عليّ، لأبى ونادى لي الناس بلبس السلاح. ثم دس من يتكلم في الجمع ليرى ما عندهم. فقال رجل: إن هؤلاء القوم إن كانوا جاءوا خائفين فبلدهم يأمن فيه الطير، وإن جاءوا لدم عثمان فما نحن بقتلته. فأطيعوني وردهم من حيث جاءوا.

فقال الأسود بن سريع السعدي إنما جاءوا يستعينون بنا على قتلته منا ومن غيرنا، فحصبه الناس. فعرف عثمان أن لهم بالبصرة ناصرا وكسر ذلك كله. وانتهت عائشة ومن معها إلى المربد، وخرج إليها عثمان فيمن معه. وحضر أهل البصرة فتكلم طلحة من الميمنة، فحمد الله وذكر عثمان وفضله ودعا إلى الطلب بدمه وحث عليه، وكذلك الزبير. فصدقهما أهل الميمنة، وقال أصحاب عثمان من الميسرة: بايعتم عليا ثم جئتم تقولون. ثم تكلمت عائشة وقالة: كالت: كان الماس يتجنب عثمان ويأتوننا بالمدينة فنجدهم فجرة ونجده برا تقيا، وهم يحاولون يخر ما يظهرون. ثم كثروا واقتحموا عليه داره، وقتلوه واستحلوا المحرمات بلا ترة ولا عذر. ألا وإن مما ينبغي لكم ولا ينبغي غيره أخذ قتلة عثمان وإقامة كتاب الله. ثم قرأت: {ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم } الآية.

فاختلف أصحاب عثمان عليه وقال بعضهم إلى عائشة. ثم افترق الناس وتحاصبوا وانحدرت عائشة إلى المربد وجاءها جارية بن قدامة السعدي فقال يا أم المؤمنين: والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح. إنه قد كان لك من الله ستر وحرمة، فهتكت سترك وأبحت حرمتك، وأنّه من

رأى قتالك يرى قتلك. فإن كنت أتيتينا طائعة فارجعي إلى منزلك، وإن كنت مكرهة فاستعيني بالله وبالناس على الرجوع. وأقبل حكيم لن جبلة وهو على ظهر الخيل فانشب القتال. وأشرع أصحاب عائشة رماحهم فأقتتلوا على فم السكة وحجز الليل بينهم وباتوا يتأهبون وعاداهم حكيم بن جبلة فاعترضه رجل من عبد القيس فقتله حكيم ثم قتل إمرأة أخرى، واقتتلوا إلى ان زال النهار. وكثر القتل في أصحاب عثمان بن حنيف ولما عفتهم الحرب تنادوا إلى الصلح وتواعدوا على أن يبعثوا إلى المدينة، فإن كان طلحة والزبير اكرها سلم لهم عثمان الأمر، وإلا رجعا عنه.

وسار كعب بن سوار القاضي إلى أهل المدينة يسألهم عن ذلك فجاءهم يوم جمعة وسألهم فلم يجبه إلا أسامة بن زيد فإنه قال: بايعا مكرهين. فضربه الناس حتى كاد يقتل. ثم خلصه صهيب وأبو أيوب ومحمد بن مسلمة إلى منزله. ورجع كعب وبلغ الخبر بذلك إلى على، فكتب إلى عثمان بن حنيف يعجزه ويقول: والله ما أكره على فرقة ولقد أكره على جماعة وفضل، فإن كانا يريدان الخلع فلا عذر لهما، وإن كانا يريدان غير ذلك نظرنا ونظروا.

ولما جاء كعب بقول أهل المدينة بعث طلحة والزبير إلى عثمان ليجتمع بهما فامتنعا واحتج بالكتاب وقال: هذا غير ما كنا فيه. فجمع طلحة والزبير الناس وجاءا إلى المسجد بعد صلاة العشاء في ليلة ظلماء شاتية، وتقدم عبد الرحمن بن عتاب في الوحل فوضع السلاح في الجابية من الزط والسابحة وهو أربعون رجلا فقاتلوهم وقتلوا عن آخرهم. واقتحموا على عثمان فأخرجوه إلى طلحة والزبير وقد نتفوا شعر وجهه كله وبعثا إلى عائشة بالخبر فقالت: خلوا سبيله. وقيل أمرت بإخراجه وضربه، وكان الذي تولى إخراجه وضربه مجاشع بن مسعود. وقيل أن الإتفاق إنما وقع بينهم على أن يكتبوا إلى على فكتبوا إليه. وأقام عثمان يصلي فاستقبلوه ووثبوا عليه فظفروا به وأرادوا قتله، ثم استبقوه من أجل الأنصار وضربوه وحبسوه.

ثم خطب طلحة والزبير وقالا: يا أهل البصرة! توبة بحوبة إنما أردنا أن نستعتب عثمان

فغلب السفهاء فقتلوه. فقالوا لطلحة: قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا! قال الزبير: أما أنا فلم أكاتبهم وأخذ يرمي عليا بقتل عثمان. فقال رجل من عبد القيس: يا معشر المهاجرين انتم أول من أجاب داعي الإسلام، وكان لكم بذلك الفضل ثم استخلفتم مرارا ولم تشاورونا وقتلتم كذلك، ثم بايعتم عليا، وجئتم تستعدوننا عليه فماذا الذي نقمتم عليه؟ فهموا بقتله ومنعته عشيرته. ثم وثبوا من الغد كلى عثمان ومن معه فقتلوا منهم سبعين.

وبلغ حكيم بن جبلة ما فعل بعثمان بن حنيف فجاءه لنصره في جماعة من عبد القيس، فوجد عبد الله بن الزبير فقال له: ما شأنك؟ قال تخلوا عن عثمان وتقيمون على ما كنتم حتى يقدم عليّ. وقد استحللتم الدم الحرام تزعمون الطلب بثأر عثمان وهم لم يقتلوه، ثم ناجزهم الحرب في ربيع الآخر سنة ست وثلاثين. وأقام حكيم أربعة قواد فكان هو بحيال طلحة، وذريح بحيال الزبير، وابن المحرش بحيال عبد الرحمن بن عتاب وحرقوص بن زهير بحيال عبد الرحمن بن الحرث بن هشام. وتزاحفوا واستحر القتل فيهم حتى قتل كثير منهم وقتل حكيم وذريح وأفلت حرقوص في فل من أصحابه إلى قومهم بني سعد، وتتبعوهم بالقتل وطالبوا بني سعد بحرقوص وكانوا عثمانية فاعتزلوا، وغصبت عبد القيس كلهم والكثير من بكر بن وائل، وأمر طلحة والزبير بالعطاء في أهل الطاعة لهما. وقصدت عبد القيس وبكر بيت المال فقاتلوهم ومنعوهم، وكتبت عائشة إلى أهل الكوفة بالخبر وأمرتهم أن يثبطوا الناس عن عليّ وأن يقوموا بدم عثمان، وكتبت بمثل ذلك إلى اليمامة والمدينة.

ولنرجع إلى خبر عليّ: وقد كان لما بلغه خبر طلحة والزبير وعائشة ومسيرهم إلى البصرة دعا أهل المدينة للنصرة وخطبهم فتثاقلوا أولا، وأجابه زياد بن حنظلة وأبو الهيثم وخزيمة بن ثابت وليس بذي الشهادتين وأبو قتادة في آخرين، وبعثت أم سلمة معه ابن عمها وخرج يسابق طلحة والزبير إلى البصرة ليردهما.

واستخلف على المدينة تمام بن عباس وقيل سهل بن حنيف وعلى مكة قثم بن العبّاس. وسار في ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وسار معه من نشط من الكوفيين والمصريين متخففين في تسعمائة، ولقيه عبد الله بن سلام فأخذ بعنانه وقال يا أمير المؤمنين لا تخرج منها فوالله إن

خرجت منها لا يعود إليها سلطان المسلمين أبدا. فبدر الناس إليه. فقال دعوه فنعم الرجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وسار فانتهى إلى الربذة، وجاء خبر سبقهم إلى البصرة فأقام يأمر بما يفعل، ولحقه ابنه الحسن وعذله في خروجه وما كان من عصيانه إياه. فقال: ما الذي عصيتك فيه حين أمرتني؟ قال أمرتك أن تخرج عند حصار عثمان من المدينة ولا تحضر لقتله، ثم عند قتله ألا تبايع حتى تأتيك وفود العرب، وبيعة الأمصار، ثم عند خروج هؤلاء أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا.

فقال: أما الخروج من المدينة فلم يكن إليه سبيل، وقد كان أحيط بنا كما أحيط بعثمان، وأما البيعة فخفنا ضياع الامر والحل والعقد لأهل المدينة لا للعرب ولا للامصار، ولقد مات رسول الله- صلى الله عليه وسلم وأنا أحق بالأمر بعده. فبايع الناس غيري واتبعتهم في أبي بكر وعمر وعثمان، فقتلوه وبايعوني طائعين غير مكرهين. فأنا أقاتل من خالف بمن أطاع إلى أن يحكم الله فهو خير الحاكمين. وأما القعود عن طلحة والزبير فإذا لم أنظر فيما يلزمني من هذا الأمر فمن ينظر فيه؟ ثم أرسل إلى الكوفة محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر يستنفران الناس، وأقام بالربذة يحرض الناس وأرسل إلى المدينة في أداته وسلاحه وقال له بعض أصحابه: عرفنا بقصدك من القوم !قال: الإصلاح إن تبلوا لان بادرونا امتنعنا.

ثم جاءه جماعة من طيء نافرين معه فقبلهم وأثنى عليهم. ثم سار من الربذة وعلي مقدمته أبو ليلى بن عمرو بن الجراح. ولما انتهى إلى فيد أتته أسد وطيء وعرضوا عليه النفير معه فقال: إلزموا قراركم قي المهاجرين كفاية. ولقيه هنالك رجل من أهل الكوفة من بني شيبان فسأله عن أبي موسى فقال: إن أردت الصلح فهو صاحبه، وإن أردت القتال فليس بصاحبه فقال: والله ما أريد إلا الصلح حتى يرد علينا. ثم انتهى إلى الثعلبية والأساد فبلغه ما لقي عثمان بن حنيف وحكيم بن جبلة. ثم جاءه بذي قار عثمان بن حنيف وأراه ما بوجهه فقال: أصبت أجراً وخيرا. إن الناس وليهم قبلي، رجلان فعملا بالكتاب، ثم ثالث فقالوا وفعلوا ثم بايعوني ومنهم طلحة والزبير ثم نكثا وألبا على. ومن العجب انقيادهما لأبي بكر وعمر وعثمان وخلافهما عليّ! والله إنهما ليعلمان أني لست دونهم. ثم أخذ في الدعاء عليهما وابن وائل هنالك يعرضون عليه النفير، فأجابهم مثل طيء وأسد.

وبلغه خروج عبد القيس على طلحة والزبير فأثنى عليهم. وأما محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر فبلغا إلى الكوفة

ودفعا إلى أبي موسى كتاب على، وقاما في الناس بأمره فلم يجبهما أحد- وشاوروا أبا موسى في الخروج إلى على فقال: الخروج سبيل الدنيا والقعود سبيل الآخرة فقعدوا كلهم. وغضب محمد ومحمد وأغلظا لأبي موسى فقال لهما: والله إن بيعة عثمان لفي عنقي وعنق على وإن كان لا بد من القتال فحتى نفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا، فرجعا إلى عليّ بالخبر وهو بذي قار. فرجع عليّ باللائمة على الأشتر وقال: أنت صاحبنا في أبي موسى فاذهب أنت وابن العبّاس واصلح ما أفسدت. فقدما على أبي موسى وكلماه واستعانا عليه بالناس، فلم يجب إلى شيء ولم ير

إلا القعود حتى تنجلي الفتنة ويلتئم الناس. فرجع ابن عباس والأشتر إلى عليّ فأرسل عليّ ابنه الحسن وعمار بن ياسر وقال لعمار: إنطلق فأصلح ما أفسدت، فانطلقا حتى دخلا المسجد، وخرج أبو موسى فلقي الحسن بن عليّ فضمه إليه وقال لعمار: يا أبا اليقظان أعدوت على أمير المؤمنين فيمن عدا وأحللت نفسك مع الفخار؟ فقال لم أفعل! فأقبل الحسن على أبي موسى فقال: لم تثبط الناس عنا وما أردنا إلا الإصلاح؟ ومثل أمير المؤمنين لا يخاف على شيء! قال: صدقت! بأبي أنت وأمي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الراكب والمسلمون إخوان ودماؤهم وأموالهم حرام. فغضب عمار وسبه فسبه آخر وتثاور الناس، ثم كفهم أبو موسى وجاء زيد بن صوحان بكتاب عائشة إليه وكتابها إلى أهل الكوفة، فقرأهما على الناس في سبيل الإنكار عليها. فسبه شبث بن ربعي وتهاوى الناس وأبو موسى يكفهم ويأمرهم بلزوم البيوت حتى تنجلي الفتنة ويقول: أطيعوني وخفوا قريشاً إذ أبوا إلا الخروج من دار الهجرة وفراق أهل العلم حتى ينجلي الأمر. وناداه زيد بن صوحان بإجابة عليّ والقيام بنصرته، وتابعه القعقاع بن عمرو فقام بعده فقال لا سبيل إلى الفوضى. وهذا أمير المؤمنين مليء بما ولي، وقد دعاكم فانفروا وقال عبد خير مثل ذلك وزاد: يا أبا موسى هل تعلم أن طلحة والزبير بايعا؟ قال نعم! قال فهل أحدث عليّ ما ينقض البيعة؟ قال لا أدري. قالا: دريت ونحن نتركك حتى تدري.

ثم قال سيحاد بن صوحان مثلما قال القعقاع وحرض على طاعة عليّ وقال: فإنه

دعاكم تنظرون ما بينه وبين صاحبيه وهو المأمون على الأمة الفقيه في الدين فقال عمار: هو دعاكم إلى ذلك لتنظروا في الحق وتقاتلوا معه لا عليه. فقال الحسن أجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتلجخم، وإن امير المؤمنين يقول إن كنت مظلوماً أطيعوني أو ظالما فخذوا مني بالحق والله إن طلحة والزبير أول من بايعني وأول من غدر. فأجاب الناس وحرض عدي بن حاتم قومه وحجر بن عدي كذلك، فنفر مع الحسن من الكوفة تسعة آلاف سارت منها ستة في البر وباقيهم في الماء.

وأرسل عليّ بعد مسير الحسن وعمار الأشتر إلى الكوفة، فدخلها والناس في المسجد وأبو موسى والحسن وعمار في منازعة معه ومع الناس فجعل الأشتر يمر بالقبائل ويدعوهم إلى القصر حتى انتهى إليه في جماعة الناس فدخله وأبو موسى بالمسجد يخطبهم ويثبطهم والحسن يقول له: اعتزل عملنا واترك منبرنا، فدخل الأشتر إلى القصر وأمر بإخراج غلمان أبي موسى من القصر. وجاءه أبو موسى فصاح به الأشتر: اخرج لا أم لك وأجاه تلك العشية. ودخل الناس لينهبوا متاعه فمنعهم الأشتر، ونفر الناس مع الحسن كما قلنا وكان الأمراء على أهل النفير: على كنانة واشد وتميم والرباب ومزينة معقل بن يسار الرياحى، وعلى قبائل قيس بن مسعود الثقفى عم المختار، وعلى بكروتغلب وعلة بن مجدوح الذهلي، وعلى مذجح والأشعر ين حجر بن عدي، ولحى بجيلة وأنمار وخثعم والازد مخنف بن سليم الأزدي.

ورؤساء الجماعة من الكوفيين القعقاع بن عمرو وسعد بن مالك وهند بن عمرو والهيثم بن شهاب، ورؤساء النفار زيد بن صوحان والأشتر وعدي بن حاتم والمسيب بن نجبة ويزيد بن قشى وأمثالهم. فقدموا على عليّ بذي قار، فركب إليهم ورحب بهم. وقال: يا أهل الكوفة دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة فإن يرجعوا فهو الذي نريد وإن يلجوا داويناهم بالرفق حتى يبدأونا بالظلم، ولا ندع أمرا فيه الصلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله.

فاجتمع الناس عنده بذي قار وعبد القيس بأسرها وهم ألوف ينتظرونه ما بينه وبين البصرة. ثم دعا القعقاع وكان من الصحابة فأرسله إلى أهل البصرة وقال: إلق هذين الرجلين فادعهما للإلفة

والجماعة وعظم عليهما الفرقة فقال له: كيف تصنع إذا قالوا ما لا وصاة مني فيه عندك قال: نلقاهم بالذي أمرت به، فإذا جاء منهم ما ليس عندنا منك رأي فيه اجتهدنا رأينا وكلمناهم كما نسمع ونرى إنه ينبغي، قال: أنت لها.

فخرج القعقاع فقدم البصرة وبدأ بعائشة. فقال أي أمة ما أشخصك؟ قالت أريد الإصلاح بين الناس. قال فابعثى إلى طلحة والزبير تسمعي مني ومنهما. فبعثت إليهما فجاءا فقال لهما: إني سألت أم المؤمنين ما أقدمها فقالت الإصلاح وكذلك قالا. قال ! فأخبرني ما هو؟ قال قتلة عثمان! فإن تركهم ترك للقران. قال: فقد قتلت منهم ستمائة من أهل البصرة وغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم، وطلبتم حرقوص بن زهير فمنعته ستة آلاف فإن قاتلتم هؤلاء كلهم اجتمعت مضر وربيعة على حربكم فأين الإصلاح؟ قالت عائشة فماذا تقول أنت؟ قال هذا الأمر دواؤه التسكين وإذا سكن إختلجوا، فآثروا العافية ترزقوها وكونوا مفاتيح خير ولا تعرضونا للبلاء فنتعرض له ويصرعنا وإياكم. فقالوا قد أصبت وأحسنت فارجع، فإن قدم عليّ وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر. فرجع وأخبر عليا فأعجبه وأشرف القوم على الصلح. وقد كانت وفود أهل البصرة أقبلوا إلى عليّ قبل رجوع القعقاع، ولفاوضوا مع أهل الكوفة واتفقوا جميعا على الإصلاح. ثم خطب عليّ الناس وأمرهم بالرحيل من الغد وأن لا يرجع معه أحد ممن أعان على عثمان.

فاجتمع من أهل مصر ابن السوداء وخالد بن ملجم والأشتر والذين رضوا بمن سار إليه، مثل علباء بن الهيثم وعدي بن حاتم وسالم بن ثعلبة القيسي وشريح بن أوفى. وتشاوروا فيما قال على وقالوا: هو أبصر بكتاب الله وأقرب إلى العمل به من أولئك وهو يقول ما يقول، وإنما معه الذين أعانوا على عثمان، فكيف إذا اصطلحوا واجتمعوا ورأوا قلتنا في كثرتهم فقال الأشتر رأيهم والله فينا واحد وإن يصطلحوا فعلى دمائنا، فهلموا نثب على طلحة نلحقه بعثمان ثم يرضى منا بالسكوت. فقال ابن السوداء: طلحة أصحابه نحو من خمسة آلاف وانتم ألفان وخمسمائة فلا تجدون: إلى ذلك سبيلا.

وقال علباء بن الهيثم اعتزلوا الفريقين حتى يأتيكم من تقومون به. فقال ابن السوداء: ود والله الناس لو انفردتم فيتخطفونكم فقال عدي: والله ما رضيت ولا كرهت، فأما إذا وقع ما وقع ونزل الناس بهذه المنزلة فإن لنا خيلاً وسلاحا، فإن أقدمتم أقدمنا وإن أحجمتم أحجمنا. ثم قال سالم بن ثعلبة وسويد بن أوفى أبرموا أمركم. ثم تكلم ابن السوداء فقال: يا قوم إن عزّكم

في خلطة الناس فصانعوهم، وإذا التقى الناس غداً فأنشبوا القتال فلا يجدون بدا منه ويشغلهم الله عما تكرهون. وافترقوا على ذلك وأصبح عليّ راحلا حتى نزل على عبد القيس فانضموا إليه وساروا معه. فنزل الزاوية وسار من الزاوية إلى البصرة، وسار طلحة والزبير وعائشة من الفرضة والتقوا بموضع قصر عبيد الله بن زياد منتصف جمادى الآخرة. وتراسلت بكر بن وائل وعبد القيس وجاءوا إلى على رضي الله تعالى عنه فكانوا معه. وأشار على الزبير بعض أصحابه أن يناجز القتال، فاعتذر بما وقع بينه وبين القعقاع.

وطلب من عليّ رضي الله عنه أصحابه مثل ذلك فأبى، وسئل ما حالنا وحالهم في القتلى فقال: أرجو أن لا يقتل منا ومنهم أحد نقي قلبه لله إلا أدخله الجنة. ونهى عن قتالهم، وبعث إليهم حكيم بن سلام ومالك بن حبيب إن كنتم على ما جاء به القعقاع فكفوا حتى ننزل وننظر في الأمر. وجاءه الأحنف بن قيس وكان معتزلا عن القوم، وقدا كان بايع عليا بالمدينة بعد قتل عثمان مرجعه من الحج. قال الأحنف: ولم أبايعه حتى لقيت طلحة والزبير وعائشة بالمدينة وعثمان محصور وعلمت أنه مقتول فقلت لهم: من أبايع بعده؟ قالوا عليا! فلما رجعت وقد قتل عثمان بايعت عليا. فلما جاءوا إلي البصرة دعوني إلى قتال عليّ، فحرت فى أمري ما بين خذلانهم أو خلع طاعتي. فقلت: ألم تأمروني بمبايعته؟ قالوا نعم لكنه بدل وغير فقلت لا انقض بيعتي ولا أقاتل أم المؤمنين ولكن اعتزل. ونزل بالجلحاء على فرسخين من البصرة في زهاء سته آلاف.

فلما قدم عليّ جاءه وخيره بين القتال معه أو كف عشرة آلاف سيف عنه فاختار الكف، ونادى في تميم وبني سعد فأجابوه، فاعتزل بهم حتى ظفر عليّ فرجع إليه واتبعه. ولما تراءى الجمعان خرج طلحة والزبير وجاءهم عليّ حتى اختلفت أعناق دوابهم. فقال على: لقد أعددتما سلاحا وخيلا ورجالا، إن كنتما أعددتما عند الله عذرا ألم أكن أخاكما في دينكما تحرمان دمي وأحرم دمكما فهل من حدث أحل لكما دمي؟ قال طلحة: ألبت على عثمان! قال على يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق. فلعن الله قتلة عثمان يا طلحة: أما بايعتني؟ قال والسيف على عنقي. ثم قال للزبير أتذكر يوم قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقاتلنه وأنت له ظالم؟ قال اللهم نعم ولو ذكرته قبل مسيري ما سرت. ووالله لا أقاتلك أبدا وافترقوا.

فقال عليّ لأصحابه أن الزبير قد عهد أن لا يقاتلكم ورجع الزبير إلى عائشة وقال: ما كنت في موطن منذ عقلت إلا وأنا أعرف أمري غير موطني هذا. قالت فما تريد أن تصنع؟ قال أدعهم وأذهب. فقال له ابنه عبد لله: خشيت رايات ابن أبي طالب وعلمت إن حامليها فتية أنجاد وإن تحتها الموت الأحمر فجنبت، فاحفظه ذلك. وقال: حلفت: قال: كفر عن يمينك، فاعتق غلامه مكحولا، وقيل إنما أراد الرجوع عن القتال حين سمع أن عمار بن ياسر مع على لما ورد: ويح عمار تقتله الفئة الباغية. وكان أهل البصرة على ثلاث فرق مفترقين مع هؤلاء وهؤلاء، وثالثة اعتزلت كالأحنف بن قيس وعمران بن حصين. ونزلت عائشة في الأزد ورأسهم صبرة بن شيمان. وأشار عليه كعب بن سور بالاعتزال فأبى وكان معها قبائل كثيرة من مضر الرباب، وعليهم المنجاب بن راشد وبنو عمرو بن تميم وعليهم ابو الجربا، وبنو حنظلة وعليهم هلال بن وكيع، وسليم وعليهم مجاشع بن مسعود وبنو عامر وغطفان وعليهم زفر بن الحرث، والأزد وعليهم صبرة بن شيمان، وبكر وعليهم مالك بن مسمع وبنو ناجية وعليهم الخريت بن راشد وهم في نحو ثلاثين ألفاً. وعلي في عشرين ألفاً والناس جميعا متنازلون: مضر إلى مضر وربيعة إلى ربيعة ولا يشكون في الصلح وقد ردوا حكيما ومالكا إلى على إنا على ما فارقنا عليه القعقاع. وجاء ابن عباس إلى طلحة والزبير، ومحمد بن طلحة إلى على، وتقارب أمر الصلح وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة يتشاورون، واتفقوا على إنشاب الحرب بين الناس فغسلوا وما يشعر بهم أحد. وقصد مضر إلى مضر وربيعة إلى ربيعة ويمن إلى يمن فوضعوا السلاح. وثار أهل البصرة وثار كل قوم في وجوه أصحابهم. وبعث طلحة والزبير عبد الرحمن بن الحرث بن هشام إلى الميمنة وهم ربيعة. وعبد الرحمن بن عتاب إلى الميسرة وركبا في القلب وتساءل الناس ما هذا؟ فقالوا: طرقنا أهل الكوفة ليلاً ، فقال طلحة والزبير: إن عليا لا ينتهي حتى يسفك الدماء ثم دفعوا أولئك المقاتلين فسمع على وأهل عسكره الصيحة فقال ما هذا؟ فقيل له أظنه سقط من هنا طرقنا أو نحوه السبئية بيتونا ليلا فرددناهم، فوجدنا القوم على أهبة فركبونا وثار الناس وركب عليّ. وبعث إلى الميمنة والميسرة صاحبها وقال: إنّ طلحة والزبير لا

ينتهيان حتى تسفك الدماء، ونادى في الناس كفوا وكان رأيهم جميعا في تلك الفتنة أن لا يقتتلوا حتى يقيموا الحجة، ولا يقتلوا مدبرا، ولا يجهزوا على جريح، ولا يستحلوا سلبا. وأقبل كعب بن سور إلى عائشة وقال: قد أبى القوم إلا القتال فلعل الله يصلح بك. فأركبها وألبسوا هودجها الأدراع وأوقفوها بحيث تسمع الغوغاء، واقتتل الناس حتى انهزم أصحاب الجمل وذهب وأصيب طلحة بسهم في رجله. فدخل البصرة ودمه يسيل إلى أن مات.

وذهب الزبير إلى وادي السباع لما ذكره عليّ، فمر بعسكر الأحنف واتبعه عمرو بن جرموز، وكان يسائله حتى قام إلى الصلاة قبله ورجع بفرسه وسلاحه وخاتمه إلى الأحنف فقال: والله ما تدري أحسنت أم أسأت! فجاء إبن جرموز إلى عليّ وقال للحاجب: إستأذن لقاتل الزبير فقال لحاجبه ائذن له وبشره. بالنار. ولما بلغت الهزيمة البصرة ورأوا الخيل أطافت بالجمل، رجعوا وشبت الحرب كما كانت.

وقالت عائشة لكعب بن سور وناولته مصحفا: تقدم فادعهم إليه واستقبل القوم، فقتله السبئية رشقاً بالسهم، ورموا عائشة في هودجها حتى جأرت بالاستغاثة ثم بالدعاء على قتلة عثمان، وضج الناس بالدعاء فقال عليّ ما هذا؟ قالوا عائشة تدعو على قتلة عثمان! فقال: اللهم إلعن قتلة عثمان. ثم أرسلت عائشة إلى الميمنة والميسرة وحرضتهم! وتقدم مضر الكوفة ومضر البصرة فاجتلدوا أمام الجمل حتى ضرسوا، وقتل زيد بن صوحان من أهل الكوفة وأخوه سيحان وارتث أخوهما صعصعة.

وتزاحف الناس وتأخرت يمن الكوفة وربيعتها. ثم عادوا فقتل على رايتهم عشرة ثم أخذها يزيد بن قيس فثبت. ولتل تحت راية ابن ربيعة زيد وعبد لله بن رقية وأبو عبيدة بن راشد بن سلمة. واشتد الأمر ولزقت ميمنة الكوفة بقلبهم وميسرة أهل البصرة بقلبهم، ومنعت ميمنة هؤلاء ميسرة هؤلاء وميسرة هؤلاء ميمنة هؤلاء، وتنادي شجعان مضر من الجانبين بالصبر وقصدوا الأطراف يقطعونها. وأصيبت يد عبد الرحمن بن عتاب قبل قتله. وقاتل عند الجمل الازد ثم بنو ضبة وبنو عدي بن عبد مناف، وكثر القتل والقطع وصارت المجنبات إلى القلب، ومحمد بن طلحة أمامهم، وحمل عدي بن زيد ففقئت عينه، وحمل الاشتر واستمر القتل إلى الجمل حتى قتل على الخطام أربعون رجلا أو سبعون كلهم من قريش.

فجرح عبد الله بن الزبير، وقتل عبد الرحمن بن عتاب وجندب بن زهير العامري وعبد الله بن حكيم بن حزام ومعه راية قريش، فقتله الأشتر وأعانه فيه عدي بن حاتم، وقتل الاسود

بن أبي البختري وهو آخذ بالخطام، وبعده عمر بن الاشرف الازدي في ثلاثة عشر من أهل بيته، وجرح مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير سبعا وثلاثين جراحة ما بين طعنة ورمية. ونادى عليّ اعقروا الجمل يتفرقوا، وضربه رجل فسقط فما كان صوت أشد عجيجا منه. وكانت راية الأزد من أهل الكوفة مع مخنف بن سليم فقتل فأخذها الصقعب أخوه فقتل ثم أخوهما عبد الله كذلك فأخذها العلاء بن عروة فكان الفتح وهى بيده.

وكانت راية عبد القيس من اهل الكوفة مع القاسم بن سليم، فقتل ومعه زيد وسيحان ابنا صوحان. وأخذها عده فقتلوا منهم عبد الله بن رقية، ثم منقذ بن النعمان ودفعها إلى ابنه مرة فكان الفتح وهي بيده. وكانت راية بكر بن وائل في بني ذهل مع الحرث بن حسان فقتل من بني أهله ورجال من بني مخزوم وخمسة وثلاثين من بني ذهل.

وقيل في عقر الجمل إن القعقاع دعا الاشتر وقد جاء من القتال عند الجمل إلى العود فلم يجبه، وحمل القعقاع والخطام بيد زفر بن الحرث، فأصيب شيوخ من بني عامر. وقال القعقاع لبجير بن دلجة من بني ضبة وهو من اصحاب عليّ يا بجير! صح بقومك يعقروا الجمل قبل ان يصابوا وتصاب أم المؤمنين. فضرب ساق البعير فوقع على شقه وأمر القعقاع من يليه، واجتمع هو وزفر على قطع بطان البعير، وحملا الهودج فوضعاه وهو كالقنفذ بالسهام ومر من ورائه. وأمر على فنودي لا تتبعوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا الدور. وأمر بحمل الهودج من بين القتلى. وأمر محمد بن أبي بكر أن يضرب عليها قبة وأن ينظر هل بها جراحة، وجاء يسألها.

وقيل لما سقط الجمل أقبل محمد بن أبي بكر إليه ومعه عمار فاحتملا الهودج إلى ناحية ليس قربه أحد وأتاها على فقال: كيف أنت يا أمة! قالت بخير! قال يغفر الله لك! قالت ولك، وجاء وجوه الناس إليها فيهم القعقاع بن عمرو، فسلم عليها وقالت له: وددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وجاء إلى عليّ فقال له مثل قولها. ولما كان الليل أدخلها أخوها محمد بن أبي بكر الصديق البصرة،

فأقرها في دار عبد الله بن خلف الخزاعي على صفية زوجته بنت الحرث بن أبي طلحة من بني عبد الدارأم طلحة الطلحات بن عبد الله. وتسلل الجرحى من بين القتلى فدخلوا ليلا إلى البصرة، وأذن على في دفن القتلى فدفنوا بعد أن طاف عليهم.

ورأى كعب بن سور وعبد الرحمن بن عتاب وطلحة بن عبيد الله وهو يقول: زعموا أنه يخرج إلينا إلا الغوغاء وأمثال هؤلاء فيهم. ثم صلى على القتلى من الجانبين وأمر بالأطراف فدفنت في قبر عظيم، وجمع ما كان في العسكر من كل شيء وبعث به إلى مسجد البصرة وقال: من عرف شيئا فليأخذه إلا سلاحا عليه سمة السلطان. وأحصى القتلى من الجانبين فكانوا عشرة آلاف منهم من ضبة ألف رجل. ولما فرغ عليّ من الوقعة جاءه الأحنف بن قيس في بني سعد فقال له: تربصت! فقال: ما أراني ألا قد أحسنت وبأمرك كان، فارفق فإن طريقك بعيد وأنت إلي غدا أحوج منك أمس، فلا تقل لي مثل هذا، فإني لم أزل لك ناصحا. ثم دخل البصرة يوم الإثنين فبايعه أهلها على راياتهم حتى الجرحى والمستأمنة.

وأتاه عبد الرحمن بن أبي بكرة فبايعه وعرض له في عفه زياد بأنه متربص. فقال: والله إنه لمريض وعلى مسرتك لحريص فقال: إنهض أمامي فمضى، فلما دخل عليه على فتبعه فقبل عذره واعتذر بالمرض قبل عذره. وأراده على البصرة فامتنع وقال: ولها رجلا من أهلك تسكن إليه الناس وسأشير عليه، وأشار بإبن عباس فولاه. وجعل زيادا على الخراج وبيت المال وأمر ابن عباس بموافقته فيما يراه. ثم راح على إلى عائشة في دار ابن خلف، وكان عبد الله بن خلف قتل في الوقعة فاستاءت أمه وبعض النسوة عليه فأعرض عنهن وحرضه بعض أصحابه عليهن فقال: إن النساء ضعيفات وكنا نؤمر بالكف عنهن وهن مشركات فكيف بهن مسلمات؟

ثم بلغه أن بعض الغوغاء عرض لعائشة بالقول والإساءة فأمر من أحضر له بعضهم وأوجعهم ضربا. ثم جهزها على إلى المدينة بما احتاجت إليه وبعثها مع أخيها محمد مع أربعين من نسوة البصرة اختارهن لمرافقتها، وأذن للفل مفن خرج معها أن يرجعوا معها ثم جاء يوم ارتحالها، فودعها واستعتبت له واستعتب لها ومشى معها أميالا وشيعها بنوه مسافة يوم، وذلك غرة رجب، فذهبت إلى مكة فقضت الحج ورجعت إلى المدينة وخرج

بنو أمية من الفل ناجين إلى الشام. فعتبة بن أبي سفيان وعبد الرحمن ويحيى أخو مروان خلصوا إلى عصمة بن أبير التيمي إلى أن اندملت جراحهم ثم بعثهم إلى الشام، وأما عبد الله بن عامر فخلص إلى بني حرقوص ومضى من هنالك، وأما مروان بن الحكم فأجاره أيضاً مالك بن مسمع وبعثه، وقيل كان مع عائشة فلما ذهبت إلى مكة فارقها إلى المدينة. وأما الزبير فاختفى بدار بعض الأزد وبعث إلى عائشة يعلمها بمكانه فأرسلت أخاها محمدا، وجاء إليها به. ثم قسم على جميع ما في بيت المال على من شهد معه، وكان يزيد على ستمائة ألف فأصاب كل رجل خمسمائة وقال: إن أظفركم الله بالشام فلكم مثلما إلى إعطياتكم، فخاض السبئية بالطعن عليه بذلك وبتحريم أموالهم مع إراقة دمائهم، ورحلوا عنه فأعجلوه عن المقام بالبصرة، وارتحل في آثارهم ليقطع عليهم امرأ إن أرادوه.

وقد قيل في سياق أمر الجمل غير هذا. وهو أن عليا لما أرسل محمد بن أبي بكر إلى أبي موسى ليستنفر له اهل الكوفة وامتنع، سار هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى على بالربذة فأخبره فأعاده إليه يقول له: إني لم أولك إلا لتكون من أعواني على الحق، فامتنع أبو موسى وكتب إليه هاشم مع المحل بن خليفة الطائي، فبعث عليّ ابنه الحسن وعمار بن ياسر يستنفران كما مر.

وبعث قرظة بن كعب الأنصاري أميرا وبعث إليه: إني قد بعثت الحسن وعمارا يستنفران الناس، وبعثت قرظة بن كعب والياً على الكوفة، فاعتزل عملنا مذموماً مدحورا، وإن لم تفعل فقد أمرته أن ينابذك وإن ظفر بك أن يقطعك إربا إربا. وإن الناس تواقفوا للقتال وأمر على من يتقدم بالمصحف يدعوهم إلى ما فيه وإن قطع وقتل. وحمله بعض الناس وفعل ذلك فقتل وحملت ميمنة علىّ على ميسرتهم، فاقتتلوا ولاذ الناس بجمل عائشة أكثرهم من ضبة والأزد ثم انهزموا آخر النهار. واستحر في الأزد القتل وحمل عمار على الزبير يحوزه بالرمح، ثم استلان له وتركه.

وألقى عبد الله بن الزبير نفسه في الجرحى وعقر الجمل، واحتمل عائشة أخوها محمد فأنزلها وضرب عليها قبة ووقف عليها عليّ يعاتبها. فقالت

له: ملكت فاسجح نعم ما أبكيت قومك اليوم، فسرّحها في جماعة رجال ونساء إلى المدينة وجهزها بما تحتاج إليه. هذا أمر الجمل ملخص من كتاب أبي جعفر الطبري اعتمدناه للوثوق به ولسلامته من الأهواء الموجودة في كتب ابن قتيبة وغيره من المؤرخين. وقتل يوم الجمل عبد الرحمن أخو طلحة من الصحابة والمحرز بن حارثة العبشمي، وكان عمر ولأه على مكة، ومجاشع ومجالد ابنا مسعود مع عائشة. وعبد الله بن حكيم بن حزام وهند بن أبي هالة وهو ابن خديجة قتل مع على وقيل بالبصرة وغيرهم. انتهى أمر الجمل.

ولما فرغ الناس من هذه الوقعة اجتمع صعاليك من العرب، وعليهم جبلة بن عتاب الحنظلي، وعمران بن الفضل البرجمي وقصدوا سجستان، وقد نكث أهلها وبعث عليّ إليهم عبد الرحمن بن جرو الطائي فقتلوه، فكتب إلى عبد الله بن عباس أن يبعث إلى سجستان والياً. فبعث ربعي بن كاس العنبري في أربعة آلاف ومعه الحصين بن أبي الحرّ، فقتل جبلة وانهزموا وضبط ربعي البلاد واستقامت.

انتفاض محمد بن أبي حذيفة بمصر ومقتله

لما قتل حذيفة بن عتبة يوم اليمامة ترك ابنه محمدا في كفالة عثمان وأحسن تربيته، وسكر في بعض الأيام فجلده عثمان ثم تنسك وأقبل على العبادة، وطلب الولاية من عثمان فقال: لست لها بأهل فاستأذنه على اللحاق بمصر لغزو البحر، فأذن له وجهزه ولزمه الناس وعظموه لما رأوا من عبادته. ثم غزا مع ابن أبي سرح غزوة الصواري كما مر، فكان يتعرض له بالقدح فيه وفي عثمان وبتوليته، ويجتمع في ذلك مع محمد بن أبي بكر، وشكاهما ابن أبي سرح إلى عثمان فكتب إليه بالتجافي عنهما لوسيلة ذاك بعائشة وهذا لتربيته. وبعث إلى ابن أبي حذيفة ثلاثين ألف درهم وحمل من الكسوة فوضعهما ابن أبي حذيفة في المسجد وقال: يا معشر المسلمين كيف أخادع عن دينى وآخذ الرشوة عليه، فازداد أهل مصر تعظيما له وطعنا على عثمان وبايعوه على رياستهم، وكتب إليه عثمان يذكره بحقوقه عليه فلم يرده ذلك. وما زال يحرض الناس عليه حتى خرجوا لحصاره، وأقام هو بمصر وخرج ابن أبي سرح إلى عثمان

فاستولى هو على مصر وضبطها إلى أن قتل عثمان، وبويع عليّ، وبايع عمرو بن العاص لمعاوية وسار إلى مصر قيل قدوم قيس بن سعد فمنعهما فخدع محمد حتى خرج إلى العريش فتحفن بها في ألف رجل فحاصره حتى نزل على حكمهم فقتلوه. وفي هذا الخبر بعض الوهن لأن الصحيح أن عمرا ملك مصر بعد صفين، وقيس ولاه عليّ لأول بيعته، وقد قيل: إن ابن أبي حذيفة لما حوصر عثمان بالمدينة، أخرج هو ابن أبي سرح عن مصر وضبطها، وأقام ابن أبي سرح بفلسطين حتى جاء الخبر بقتل عثمان وبيعة على، وتوليته قيس بن سعد على مصر. فأقام بمعاوية. وقيل أن عمرا سار إلى مصر بعد صفين، فبرز إليه ابن أبي حذيفة
في العساكر وخادعه في الرجوع إلى بيعة عليّ، وإن يجتمعا لذلك بالعريش في غير جيش من الجنود. ورجع إلى معاوية عمرو فأخبره ثم جاء إلى ميعاده بالعريش، وقد استعد بالجنود وأكمنهم خلفه، حتى إذا التقيا طلعوا على أثره، فتبين ابن أبي حذيفة الغدر فتحضن بقصر العريش إلى أن نزل على حكم عمرو. وبعث به إلى معاوية فحبسه إلى أن فر من محبسه فقتل. وقيل إنما بعثه عمرو إلى معاوية عند مقتل محمد بن أبي بكر وإنه أمنه ثم حمله إلى معاوية فحبسه بفلسطين.

ولاية قيس بن سعد عليّ مصر

كان عليّ قد بعث غ لى مصر لأول بيعته قيس بن سعد أميرا في صفر من سنة ست وثلاثين، وأذن له في الاكثار مر الجنود وأوصاه وقال له: لو كنت لا أدخلها إلا بجند آتي بهم من المدينة، فلا أدخلها أبدا، فأنا أدعو لك الجند تبعثهم في وجوهك. وخرج في سبعة من أصحابه حتى أتى مصر، وقرأ عليهم كتاب عليّ بمبايعته وطاعته وإنه أميرهم. ثم خطب فقال بعد حمد الله: أيها الناس قد بايعنا خير من نعلم بعد نبينا، فبايعوه على كتاب الله وسنة رسوله، فبايعه الناس واستقامت مصر وبعث عليها عماله إلا بعض القرى كان فيها قوم يدعون إلى الطلب بدم عثمان: مثل يزيد بن الحرث ومسلمة بن مخلد فهادنهم وجبى الخراج وانقضى أمر الجمل، وهو بمصر.
وخشي معاوية أن يسير إليه عليّ في أهل العراق، وقيس من ورائه في أهل مصر، فكتب إليه يعظم قتل عثمان ويطوقه علما ويحضه على البراءة من ذلك ومتابعته على أمره على أن يوليه العراقين إذا ظفر ولا يعزله. يوليّ من أراد من أهله الحجاز

كذلك ويعطيه ما شاء من الأموال. فنظر في أهله بين موافقته أو معاجلته بالحرب فآثر الموافقة فكتب إليه: أما بعد فإني لم أقارف شيئا مما ذكرته وما اطلعت لصاحبي على شيء منه. وأما متابعتك فانظر فيها وليس هذا مما يسرع إليه، وأنا كاف عنك فلا يأتيك شيء من قبلي تكرهه حتى نرى وترى.

فكتب إليه معاوية: إني لم أرك تدنو فأعدك سلما، ولا تتباعد فأعدك حربا وليس مثلي يصانع المخادع وينخدع للمكايد ومعي عدد الرجال وأعنة الخيل والسلام.

فعلم قيس أن المدافعة لا تنفع معه، فأظهر له ما في نفسه وكتب إليه بالرد القبيح والشتم، والتصريح بفضل على والوعيد. فحينئذ أيس معاوية منه وكاده من قبل عليّ، فأشاع في الناس أن قيسا شيعة له تأتينا كتبه ورسله ونصائحه، وقد ترون ما فعل بإخوانكم القائمين بثأر عثمان وهو يجري عليهم من الأعطية والأرزاق. فأبلغ ذلك إلى على محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر وعيونه بالشام، فأعظم ذلك وفاوض فيه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر. فقال له عبد الله: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك واعزله عن مصر. ثم جاء كتابه بالكف عن قتال المعتزلين فقال ابن جعفر: مره بقتالهم خشية أن تكون هذه ممالأة، فكتب إليه يأمره بذلك فلم ير قيس ذلك رأيا وقال: متى قاتلناهم ساعدوا عليك عدوك وهم الآن معتزلون، والرأي تركهم. فقال ابن جعفر: يا أمير المؤمنين ! ابعث محمد بن أبي بكر على مصر وكان أخاه لأمه واعزل قيسا، فبعثه وقيل بعث قبله الأشتر النخعي ومات بالطريق فبعث محمدا. ولما قدم محمد على قيس خرج عنها مغضباً إلى المدينة، وكان عليها مروان بن الحكم فأخافه فخرج هو وسهل بن حنيف إلى عليّ. وكتب معاوية إلى مروان يعاتبه لو أمددت عليا بمئة ألف مقاتل كان ايسر على من قيس بن سعد.

ولما قدم قيس على عليّ وكشف له عن وجه الخبر قبل عذره وأطاعه في أمره كله. وقدم محمد مصر فقرأ كتاب علىّ على الناس وخطبهم. ثم بعث إلى أولئك القوم المعتزلين الذين كان قيس وادعهم ادخلوا في طاعتنا أو اخرجوا عن بلادنا! فقالوا: دعنا حتى ننظر! وأخذوا حذرهم، ولما انقضت صفين وصار الأمر إلى التحكيم

بارزوه، وبعث العساكر الى يزيد بن الحرث الكناني بخربتا وعليهم الحرث بن جمهان فقتلوه، ثم بعث آخر فقتلوه.

مبايعة عمرو بن العاص لمعاوية

لما أحيط بعثمان خرج عمرو بن العاص إلى فلسطين ومعه ابناه عبد الله ومحمد، فسكن بها هاربا مما توقعه من قتل عثمان إلى أن بلغه الخبر بقتله، فارتحل يبكي ويقول كما تقول النساء حتى أتى دمشق، فبلغه بيعة على فاشتد عليه الأمر وأقام ينتظر ما يصنعه الناس. ثم بلغه مسير عائشة وطلحة والزبير فأمل فرجا من أمره، ثم جاءه الخبر بوقعة الجمل فارتاب فى أمره، وسمع أن معاوية بالشام لا يبايع عليا وأنه يعظم قتل عثمان، فاستشار بنيه في المسير إليه. فقال له ابنه عبد لله: توفي النبي صلى الله عليه وسلم والشيخان بعده وهم راضون عنك، فأرى أن تكف يدك وتجلس في بيتك حتى يجتمع الناس، وقال له محمد: أنت ناب من أنياب العرب، وكيف يجتمع هذا الأمر وليس لك فيه صيت؟ فقال يا عبد الله ! أمرتني بما هو خير لي في ديني، ويا محمد! أمرتني بما هو خير لي في دنياي وشر لي في آخرتي. ثم خرج ومعه ابناه حش تدم على معاوية، فوجدوهم يطلبون دم عثمان فقال: انتم على الحق اطلبوا بدم الخليفة المظلوم، فأعرض معاوية قليلا ثم رجع إليه وشركه في سلطانه.

أمر صفين

لما رجع في بعد وقعة الجمل إلى الكوفة مجمعا على قصد الشام بعث إلى جرير بن عبد الله البجلي بهمدان، وإلى الأشعث بن قيس بأذربيجان- وهما من عمال عثمان- لأن يأخذا له البيعة ويحضرا عنده، فلما حضرا بعث جرير إلى معاوية يعلمه ببيعته، ونكث طلحة والزبير وحزبهما، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس. فلما قدم علبه طاوله في الجواب وحمل أهل الشام ليرى جرير قيامهم في دم عثمان، واتهامهم علما به. وكان أهل الشام لما قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان ملوثا بالدم كما قدمناه، وبأصابع زوجته نائلة، وضع معاوية القميص على المنبر والأصابع من فوقه. فمكث الناس يبكون مدة، واقسموا ان لا يمسهم ماء الجنابة ولا يناموا على فراش حتى يثأروا من عثمان ومن حال دون ذلك قتلوه. فرجع جرير بذلك إلى عليّ،. وعذله الأشتر فبعث

جرير، وأنّه طال مقامه حتى تمكن أهل الشام من رأيهم. فغضب لذلك جرير ولحق بقرقيسيا، واستقدمه معاوية فقدم عليه. وقيل إن شرحبيل بن الصمت الكندي أشار على معاوية برد جرير لمنافسة كانت بينهما منذ أيام عمر. وذلك أن شرحبيل كان عمر بن الخطاب بعثه إلى سعد بالعراق ليكون معه، فقربه سعد وقدمه ونافسه له أشعث بن قيس. فأوصى جريرا عند وفادته على عمر أن ينال من شرحبيل عنده ففعل، فبعث عمر شرحبيل إلى الشام فكان يحقد ذلك على جرير. فلما جاء إلى معاوية أغراه شرحبيل به وحمله على الطلب بدم عثمان. ثم خرج على وعسكر بالنخيلة واستخلف على الكوفة أبا مسعود الأنصاري، وقدم عليه عبد الله بن عباس في أهل البصرة. وتجهز معاوية وأغراه عمرو بقلة عسكر عليّ واضطغان أهل البصرة له بمن قتل منهم.

وعبى معاوية أهل الشام، وعقد لعمرو ولابنيه وغلامه وردان الأولوية. وبعث عليّ في مقدمته زياد بن النضر الحارثي في ثمانية آلاف، وشريح بن هانىء في أربعة آلاف. وسار من النخيلة إلى المدائن، واستنفر من كان بها من المقاتلة، وبعث منها معقل بن قيس في ثلاثة آلاف يسير من الموصل ويوافيه بالرقة. وولى عليّ على المدائن سعد بن مسعود الثقفي عم المختار بن أبي عبيد وسار، فلما وصل إلى الرقة نصب له جسر فعبر، وجاء زياد وشريح من ورائه وكانا سمعا بمسير معاولة، وخشيا أن يلقاهما معاوية وبينهما وبين عليّ البحر، ورجعا إلى هيت وعبرا الفرات ولحقا بعلي فقدمهما أمامه.

فلما أتيا إلى سور الروم لقيهما أبو الأعور السلمي في جند من اهل الشام فطاولاه، وبعثا إلى عليّ فسرح الأشتر وأمره أن يجعلهما على مجنبتيه وقال لا تقاتلهم حتى آتيك! وكتب إلى شريح وزياد بطاعته فقدم عليهما، وكف عن القتال سائر يومه حتى حمل عليهم أبو الأعور بالعشي فاقتتلوا ساعة وافترقوا، ثم خرج من الغداة. وخرج إليه من أصحاب الأشتر هاشم بن عتبة المرقال، واقتتلوا عامة يومهم. وبعث الأشتر سنان بن مالك النخعي إلى أبي الأعور السلمي يدعوه إلى البراز، فأبى وحجز بينهم الليل ووافاهم من الغد على وعساكره. فتقدم الأشتر وانتهى إلى معاوية ولحق به عليّ، وكان معاوية قد ملك شريعة الفرات، فشكا الناس إلى عليّ العطش، فبعث صعصعة بن صوحان إلى معاوية بأنا سرنا ونحن عازمون على الكف عنكم حتى نعذر إليكم فسابقنا جندكم بالقتال. ونحن رأينا

الكفّ حتى ندعوكم ونحتج عليك، وقد منعتم الماء والناس غير منتهين فابعث إلى أصحابك يخلون عن الماء للورد حتى ننظر بيننا وبينكم، وإذا أردت القتال حتى يشرب الغالب فعلنا. فأشار عمرو بن العاص بتخلية الماء لهم، وأشار ابن أبي سرح والوليد بن عقبة بمنعهم الماء وعرضا بشتم فتشماتم معهم صعصعة ورجع وأوعز إلى أبي الأعور بمنعهم الماء. وحاء الأشعث بن قيس إلى الماء فقاتلهم عليه.

ثم أمر معاوية أبا الأعور يزيد بن أبي أسد القسري جد خالد بن عبد الله، ثم بعمرو بن العاص بعده. وأمر عليّ الاشعث بشبث بن ربعي ثم بالأشتر وعليهم أصحاب عليّ وملكوا الماء عليهم، وأرادوا منعهم منه فنهاهم عليّ عن ذلك، وأقام يومين.

ثم بعث إلى معاوية أبا عمرو بشير بن عمرو بن محصن الأنصاري وسعيد بن قيس الهمداني وشبث بن ربعي التميي يدعونه إلى الطاعة، وذلك أول ذي الحجة سنة ست وثلاثين، فدخلوا عليه. وتكلم بشير بن عمرو بعد حمد الله والثناء عليه والموعظة الحسنة، وناشده الله أن لا يفرق الجماعة ولا يسفك الدماء فقال: هلأ أوصيت بذلك صاحبك. فقال بشير: ليس مثلك هو أحق بالأمر بالسابقة والقرابة. قال فما رأيك؟ قالى تجيبه إلى ما دعا إليه من الحق. قال معاوية: ونترك دم عثمان لا والله لا أفعله أبدا! ثم قال ، شبث بن ربعي: يا معاوية! إنما طلبت دم عثمان تستميل به هؤلاء السفهاء الطغام إلى طاعتك، ولقد علمنا أنك أبطأت على عثمان بالنصر لطلب هذه المنزلة، فاتق الله ودع ما أنت عليه ولا تنازع الأمر أهله. لأجابه معاوية وأبدع في سبه وقال: إنصرفوا فليس بيني وبينكم إلا السيف. فقال له شبث: أقسم بالله لنجعلنها لك.

ورجعوا إلى عليّ بالخبر وأقاموا يقتتلون أيام ذي الحجة كلها، عسكر من هؤلاء وعسكر من هؤلاء، وكرهوا أن يلقوا جمع أهل العراق بجمع أهل الشام حذراً من الاستئصال والهلاك. ثم جاء المحرم فذهبوا إلى الموادعة حتى ينقضي طمعاً في الصلح، وبعث إلى معاوية عدي بن حاتم ويزيد بن قيس الأرحبي وشبث بن ربعي وزياد بن حفصة. فتكلم عدي بعد الحمد والثناء ودعا إلى الدخول في طاعة عليّ ليجمع الله به الكلمة، فلم يبق غيرك ومن معك، واحذر يا معاوية أن يصيبك وأصحابك مثل يوم الجمل. فقال معاوية:

كأنك جئت مهدداً لا مصلحاً، هيهات يا عدي أنا ابن حرب والله ما يقعقع لي بالشنان، وأنك من قتلة عثمان وأرجو أن يقتلك الله به. فقال له يزيد بن قيس: إنما أتيناك رسلاً ولا ندع مع ذلك النصح والسعي في الإلفة والجماعة، وذكر من فضل عليّ واستحقاقه للأمر بتقواه وزهده.

فقال معاوية: بعد الحمد والثناء أما الجماعة التي تدعون إليها فهي معنا، وأما طاعة صاحبكم فلا نراها لأنه قتل خليفتنا، وآوى أهل ثأرنا. ونحن مع ذلك نجيبكم إلى الطاعة والجماعة إذا دفع إلينا قتلة عثمان. فقل شبث بن ربعي: أيسرك يا معاوية أن تقتل عمارا؟ قال نعم بمولاه. قال شبث حتى تضيق والله الأرض الفضاء عليك. فقال معاوية لو كان ذلك لكانت عليك أضيق. وافترقوا عن معاوية ثم خلا بزياد بن حفصة وشكا إليه من على وسأله النصر فيه بعشيرته وأن يوليه أحد المصرين فأبى وقال: إني على بينة من ربي فلن أكون ظهيرا للمجرمين. وقام عنه فقال معاوية لعمرو كأن قلوبهم قلب رجل واحد.

ثم بعث معاوية إلى عليّ حبيب بن مسلمة وشرحبيل بن السمط ومعن بن يزيد بن الأخنس فدخلوا عليه. فتكلم حبيب بعد الحمد لله والثناء فقال: إن عثمان كان خليفة مهدئا يعمل بكتاب الله وينيب إلى أمره فاستثقلتم حياته واستبطأتم موته فقتلتموه، فادفع إلينا قتلته إن كنت لم تقتله، ثم اعتزل أمر الناس فيولوا من أجمعوا عليه. فقال عليّ: ما أنت وهذا الأمر فاسكت فلست بأهل له. فقال والله لتراني بحيث تكره فقال: وما أنت لا أبقى الله عليك إن أبقيت وأذهب فصوب وصعد.

ثم تكلم بعد الحمد لله والثناء وهداية الناس لمحمدصلى الله عليه وسلم وخلافة الشيخين وحسن سيرتهما، وقد وجدنا عليهما أن تولينا ونحن أقرب منهما إلى رسول الله ! لكن سامحناهما بذلك. وولي عثمان فعاب الناس عليه وقتلوه، ثم بايعوني مخافة الفرقة فأجبتهم. ونكث عليّ رجلان وخالف صاحبكم الذي ليس له مثل سابقتي، والعجب من انقيادكم له دون بيت نبيكم، ولا ينبغي لكم ذلك. وأنا أدعوكم إلى الكتاب والسنة ومعالم الدين وإماتة الباطل وإحياء الحق فقالوا: نشهد أن عثمان قتل مظلوما. فقال لا أتول مظلوماً ولا ظالما. قالوا: فمن لم يقل ذلك فنحن منه براء وانصرفوا. فقرأ عليّ: {إنك لاتسمع الموتى}[الآية] ثم قال لأصحابه لا يكن هؤلاء في ضلالهم أجدّ منكم في حقّكم.

ثم تنازع عدي بن حاتم في راية طيء عامر بن قيس الجرموزي وكان رهطه اكثر من رهط عدي، فقال عبد لله بن خليفة اليولاني: ليس فينا أفضل من عدي ولا من أبيه حاتم، ولم يكن في الإسلام أفضل من عدي ولا من أبيه حاتم، ولم يكن في الإسلام أفضل من عدي وهو الوافد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأس طيء في النخيلة والقادسية والمدائن وجلولاء ونهاوند وتستر. وسأل عليّ قومهم فوافقوه على ذلك فقضى بها لعدي.

ولما انسلخ المحرم نادى عليّ في الناس بالقتال وعبى الكتائب وقال لا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم، فإذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا ولا تأخذوا مالا ولا تهيجوا امرأة وإن شتمتكم، فانهن ضعاف الأنفس والقوى. ثم حرضهم ودعا لهم وجعل الأشترعلى خيل الكوفة، وسهل بن حنيف على خيل الصرة، وقيس بن سعد على رجالة البصرة، وعمار بن ياسر على رجالة الكوفة، وهاشم بن عتبة معه الراية، ومسعر بن فدكي على القراء. وعبى معاوية كتائبه: فجعل على الميمنة ذا الكلاع الحميري، وعلى الميسرة حبيب بن مسلمة، وعلى المقدمة أبا الأعور، وعلى خيل دمشق عمرو بن العاص، وعلى رجالتها مسلم بن عقبة المري. وعلى الناس كلهم الضحاك بن قيس. وتبايع رجال من أهل الشام على الموت فعقلوا انفسهم بالعمائم في خمسة صفوف، وخرجوا في اليوم الأول من صفر، خرج الأشتر من أهل الكوفة وحبيب من أهل الشام فاقتتلوا عامة يومهم، وفي اليوم الثاني هاشم بن عتبة وأبو الأعور السلمي. وفي اليوم الثالث عمار بن ياسر وعمرو بن العاص فاقتتلوا أشذ قتال، وحمل عمار فأزال عمرا عن موضعه.

وفي اليوم الرابع محمد بن الحنفية وعبيد الله بن عمر بن الخطاب وتداعيا إلى البراز، فرد عليّ ابنه وتراجعوا. وفي اليوم الخامس عبد الله بن عباس والوليد بن عقبة فاقتتلا كذلك. ثم عاد في اليوم السادس الأشتر وحبيب فاقتتلا قتالا شديدا وانصرفا. وخطب عليّ الناس عشية يومهم وأمرهم بمناهضة القوم بأجمعهم، وأن يطيلوا ليلتهم القيام ويكثروا التلاوة، ويدعوا لله بالنصر والصبر ويرموا غدا في لقائهم بالجد والحزم.

فبات الناس يصلحون ليلتهم سلاحهم، وعبى على الناس ليلته إلى الصباح،

وزحف وسأل عن القبائل من أهل الشام وعرف مواقفهم، وأمر كل قبيلة أن تحفيه أختها من أهل الشام. ومن ليس منهم أحد بالشام يصرفهم إلى من ليس منهم أحد

بالعراق، مثل بجيلة صرفهم إلى لخم. وخرج معاوية من أهل الشام فاقتتلوا يوم الأربعاء قتالا شديداً عامة يومهم ثم انصرفوا، وغلس عليّ يوم الخميس بالزحف، وعلى ميمنته عبد الله بن بديل بن ورقاء وعلى ميسرته عبد الله بن عباس والقراء مع عمار وقيس بن سعد وعبد الله ابن زيد، والناس على راياتهم ومراكزهم، وعلي في القلب بين أهل الكوفة والبصرة ومعه أهل البصرة والكوفة، ومعه اهل المدينة من الأنصار وخزاعة وكنانة.

ورفع معاوية قبة عظيمة وألقى عليها الثياب وبايعه أكثر اهل الشام على الموت، وأحاط بقبته خيل دمشق، وزحف ابن بديل في الميمنة فقاتلهم إلى الظهر وهو يحرض اصحابه. ثم كشف خيلهم واضطرهم إلى قبة معاوية. وجاء الذين تبايعوا على الموت إلى معاوية فبعثهم إلى حبيب فحمل بهم على ميمنة أهل العراق، فانجفل الناس عن اهل بديل إلا ثلاثمائة أو مائتين من القراء، وانتهت الهزيمة إلى عليّ. وأمده عليّ بسهل بن حنيف في اهل المدينة فاستقبلهم جموع عظيمة لأهل الشام فمنعتهم.

ثم انكشفت مضر من الميسرة وثبتت ربيعة، وجاء عليّ يمشي نحوهم، فاعترضه أحمر مولى أبي سفيان فحال دونه كيسان مولاه فقتله أحمر. فتناول عليّ أحمر من درعه فجذبه وضرب به الأرض وكسر منكبيه وعضديه، ثم دنا من ربيعة فصبرهم وثبت أقدامهم وتنادوا بينهم: إن أصيب بينكم أمير المؤمنين افتضحتم في العرب. وكان الأشتر مر به راكضا نحو الميمنة، واستقبل الناس منهزمين فأبلغهم مقالة عليّ: أين فراركم من الموت الذي لا تعجزوه إلي الحياة التي لا تبقى لكم. ثم نادى: أنا الأشتر! فرجع إليه بعضهم فنادى مدحجا وحرضهم فأجابوه، وقصد القوم واستقبله شباب من همذان ثمانمائة أو نحوها، وكان قد هلك منهم في ذلك اليوم أحد عشر رئيسا وأصيب منهم ثمانون ومائة، وزحف الأشتر نحو الميمنة.

وتراجع الناس واشتد القتال حتى كشف أهل الشام، وألحقهم بمعاوية عند الاصفرار، وانتهى إلى ابن بديل في مائتين أو ثلاثمائة من القراء قد لصقوا بالأرض. فانكشف عنهم أهل الشام وأبصروا إخوانهم، وسألوا عن عليّ فقيل لهم هو بالميسرة يقاتل. فقال ابن بديل استقدموا بنا، ونهاه الأشتر فأبى ومضى نحو معاوية وحوله أمثال الجبال تقتل كل من دنا منه حتى وصل

إلى معاوية، فنهض إليه الناس من كل جانب وأحيط به فقتل، وقتل من أصحابه ناس ورجع آخرون مجروحون وأهل الشام في اتباعهم. فبعث الأشتر من نفس عنهم حتى وصلوا إليه، وزحف الأشتر في همدان وطوائف من الناس فأزال أهل الشام عن مواقفهم حتى ألحقهم بالصفوف المعقلة بالعمائم حول معاوية. ثم حمل أخرى فصرع منهم أربعة صفوف حتى دعا معاوية بفرسه فركب. وخرج عبد الله بن أبي الحصين الأزدي في القراء الذين مع عمار فقاتلوا، وتقدم عقبة بن حبيب النميري مستميتا ومعه إخوته فقاتلوا حتى قتلوا. وتقدم شمر بن ذي الجوشن مبارزا فضرب أدهم بن محرز الباهلي وجهه بالسيف وحمل على أدهم فقتله. وحمل قيس بن المكشوح ومعه راية بجيلة فقاتل حتى أخذها آخر كذلك.

ولما رأى على أهل ميمنة أصحبه قد عادوا إلى مواقفهم وكشفوا العدو قبالتهم أقبل إليهم وعذلهم بعض الشيء عن مفرهم، وأثنى على رجوعهم. وقاتل الناس قتالاً شديداً، وتبارز الشجعان من كل جانب. وأقبلت طيء والنخع وخرجت حمير من ميمنة أهل الشام وتقدم ذو الكلاع ومعهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب، فقصد ربيعة في ميسرة أهل العراق وعليهم ابن عباس وحملوا عليهم حملة شديدة، فثبتت ربيعة وأهل الحفاظ منهم وانهزم الضعفاء والفشلة. ثم رجعوا ولحقت بهم عبد القيس وحملوا على حمير فقتل ذي الكلاع وعبد الله بن عمر، وأخذ سيف ذي الكلاع وكان لعمر. فلما ملك معاوية العراق أخذه من قاتله. ثم خرج عمار بن ياسر وقال اللهم إني لا أعمل اليوم عملا أرضى من جهاد هؤلاء الفاسقين. ثم نادى من سعى في رضوان ربه فلا يرجع إلى مال ولا ولد فأتاه عصابة فقال: إقصدوا بنا هؤلاء الذين يطلبون بدم عثمان، يخادعون بذلك عما في نفوسهم من الباطل. ثم مضى فلا يمر بواد من صفين إلا اتبعه من هناك من الصحابة. ثم جاء إلى هاشم بن عتبة، وكان صاحب الراية فانهضه حتى دنا من عمرو بن العاص فقال يا عمرو: بعت دينك بمصر؟ تبا لك! فقال: إنما أطلب دم عثمان فقال: أشهد أنك لا تطلب وجه الله في كلام كثير من أمثال ذلك، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في عمار تقتله الفئة الباغية.

ولما قتل عمار حمل على وحمل معه ربيعة ومضر وهمدان حملة منكرة فلم يبق لأهلى الشام صف إلا انتقض حتى بلغوا معاوية، فناداه ير على م يقتل الناس بيننا هلم نحاكمك إلى الله فأينا قتل صاحبه استقام له الأمر. فقال له عمرو: انصفك. فقال له معاوية: لكنك ما انصفت. وأسر يومئذ جماعة من أصحاب عليّ فترك سبيلهم وكذلك فحل عليّ. ومر عليّ بكتيبة من الشام قد ثبتوا، نجث إليهم محمد بن الحنفية فأزالهم عن مواقفهم وصرع عبد الله بن كعب المرادي، فمر به الأسود بن قيس فأوصاه بتقوى الله والقتال مع عليّ وقال أبلغه عني السلام. وقال له: قاتل على المعركة حتى تجعلها خلف ظهرك، فإنه من أصبح غدا والمعركة خلف ظهره فإنه العالي.

ثم اقتتل الناس تلك الليلة إلى الصباح، وهي ليلة الجمعة وتسمى ليلة الهرير وعلى يسير بين الصفوف، ويحرض كل كتيبة على التقدم حتى أصبح والمعركة كلها خلف ظهرة، والأشتر في الميمنة وابن عباس في الميسرة والناس يقتتلون من كل جانب، وذلك يوم الجمعة. ثم ركب الأشتر ودعا الناس إلى الحملة على أهل الشام، فحمل حتى أنتهى إلى عسكرهم وقتل صاحب رايتهم، وأمده على بالرجال.

فلما رأى عمرو شدة أهل العراق وخاف على أصحابه الهلاك لمعاوية: مر الناس يرفعون المصاحف على الرماح ويقولون كتاب الله بيننا وبينكم فإن فعلوا ذلك ارتفع عنا القتال، وإن أبى بعضهم وجدنا في افتراقهم راحة ففعلوا ذلك فقال الناس: نجيب إلى كتاب الله. فقال لهم على يا عباد الله! امضوا على حقكم وقتال عدوكم، فإن معاوية وابن أبي معيط وحبيباً وابن أبي سرح والضحاك ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن أنا أعرف بهم، صحبتهم أطفالا ورجالا فكانوا شر أطفال وشر رجال. ويحكم والله ما رفعوها إلا مكيدة وخديعة فقالوا لا يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله فلا نقبل. فقال: إنما قاتلناهم ليدينوا بكتاب الله فإنهم نبذوه.

فقال له مسعر بن فدك التميمي وزيد بن حصين الطائي في عصابة من القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك يا على: أجب إلى كتاب الله وإلا دفعنا برمتك إلى القوم أو فعلنا بك ما فعلنا بابن عفان. فقال: إن تطيعوني فقاتلوا وإن تعصوني فافعلوا ما بدا لكم قالوا: فابعث إلى الأشتر وكفه عن القتال، فبعث إليه يزيد بن هاني بذلك فأبى وقال: قد رجوت أن يفتح

الله لي فلما جاء يزيد بذلك ارتج الموقف باللغط وقالوا لعلى: ما نراك إلا أمرته بقتال ما بعث إليه فليأتك وإلا اعتزلناك فقال عليّ: ويحك يا يزيد قل له أقبل إلي فإن الفتنة قد وقعت فقال: ألرفع المصاحف؟ فقال نعم! قال لقد ظننت إن ذلك يوقع فرقة، كيف ندع هؤلاء وننصرف والفتح قد وقع فقال يزيد: تحب أن تظفر وأمير المؤمنين يسلم إلى عدوه أو يقتل؟ ثم أقبل إليهم الأشتر وأطال عتبهم وقال: امهلوني فوالا فقد أحسست بالفتح فأبوا فعذلهم وأطال في عذلهم فقالوا: دعنا يا أشتر قاتلناهم لله فقال: بل خدعتم فانخدعتم.

ثم كثرت الملاحاة بينهم وتشاتموا فصاح بهم عليّ فكفوا. فقال له الاشعث بن قيس أن الناس قد رضوا بما دعوا إليه من حكم القرآن، فإن شئت أتيت معاوية وسألته ما يريد قال أفعل فأتاه وسأله لأي شيء رفعتم المصاحف؟ قال لنرجع نحن وانتم إلى ما أمر الله به من كتابه. تبعثون رجلا ترضونه ونحن آخر ونأخذ عليهما عهد الله أن يعملا بما في كتاب الله لا يعدوانه. ثم نتبع ما اتفقا عليه. فقال الأشعث: هذا الحق ورجع إلى عليّ والناس وأخبرهم فقال الناس رضينا وقبلنا، ورضي أهل الشام عمرا وقال الأشعث: وأولئك القراء الذين صاروا خوارج: رضينا بأبي موسى فقال عليّ لا أرضاه! ففال الأشعث ويزيد بن الحصين ومسعر بن فدك لا نرضى إلا به. قال: فإنه ليس بثقة قد فارقني وخذل الناس عني وهرب مني حتى أمنته بعد أشهر قالوا لا نريد إلا رجلا هو منك ومن معاوية سواء قال فالأشتر؟ قالوا: وهل سعر الأرض غير الأشتر؟ قال فاصنعوا ما بدا لكم! فبعثوا إلى أبي موسى وقد اعتزل القتال، فقيل إن الناس قد اصطلحوا فحمد الله. قيل وقد جعلوك حكما فاسترجع. وجاء أبو موسى إلى العسكر وطلب الأحنف بن قيس من عليّ أن يجعله مع أبي موسى فأبى الناس من ذلك، وحضر عمرو بن العاص عند عليّ ليكتبوا القضية بحضوره فكتبوا بعد البسملة:

هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين، فقال عمرو: ليس هو بأميرنا! فقال له الأحنف لا تمحها فإني اتطير بمحوها. فمكث مليا ثم قال الأشعث: إمحها فقال عليّ الله أكبر! وذكر قصة الحديبية وفيها إنك ستدعى إلا مثلها فتجيب. فقال عمرو: سبحان الله نشئه بالكفار ونحن مؤمنون. فقال على: يا ابن النابعة ومتى لم تكن للفاسقين وليا وللمؤمنين عدواً. فقال عمرو: والله لا يجمع بيني وبينك

مجلس بعد اليوم. فقال عليّ: أرجو أن يطهر الله مجلسي منك ومن أشباهك، وكتب الكتاب. هذا ما تقاضى عليه عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، قاضى عليّ على أهل الكوفة ومن معهم، ومعاوية على أهل الشام ومن معهم، أنا ننزل عند حكم الله وكتابه، وأن لا يجمع بيننا غيره، وإن كتاب الله بيننا من فاتحته إلى خاتمته نحيي ما أحيا ونميت ما أمات مما وجد الحكمان في كتاب الله. وهما أبو موسى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص، وما لم يجدا في كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة. وأخذ الحكمان من عليّ ومعاوية ومن الجندين العهود والمواثيق أنهما آمنان على أنفسهما وأهليهما، والأمة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه، وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأمة ولا يورداها في حرب ولا فرقة حتى يقضيا. وأحلا القضاء إلى رمضان فإن أحبا أن يؤخرا ذلك أخراه، وإن مكان قضيتهما مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام. وشهد رجال من أهل العراق ورجال من أهل الشام وضعوا خطوطهم في الصحيفة، وأبى الاشتر أن يكتب اسمه فيها، وحاوره الأشعث في ذلك فأساء الرد عليه وتهدده.

وكتب الكتاب لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين، واتفقوا على أن يوافي عليّ موضع الحكمين بدومة الجندل وبأذرح في شهر رمضان. ثم جاء بعض الناس إلى عليّ يحضه على قتال القوم فقال لا يصلح الرجوع بعد الرضى ولا التبديل بعد الإقرار. ثم رجع الناس عن صفين ورجع عليّ وخالفت الحرورية وأنكروا تحكيم الرجال ورجعوا على غير الطريق الذي جاءوا فيه حتى جازوا النخيلة ورأوا بيوت الكوفة. ومر عليّ بقبر خباب بن الأرت، توفي بعد خروجه، فوقف واسترحم له ثم دخل الكوفة، فسمع رجة البكاء في الدور فقيل يبكين على القتلى فترحم لهم ولم يزل يذكر الله حتى دخل القصر، فلم تدخل الخوارج معه، وأتوا حرورا فنزلوا بها في اثني عشر ألفا، فقدموا شبث بن عمر التميمي أمير القتال، وعبيد الله بن الكوى اليشكري أمير الصلاة.

قالوا البيعة لله عز وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأمر شورى بعد الفتح فقالوا للناس: بايعتم عليا إنكم أولياء من والى وأعداء من عادى، وبايع أهل الشام معاوية على ما أحب وكرهوا فلستم جميعاً من الحق في شيء. فقال لهم زياد بن النضر: والله ما بايعناه إلا على الكتاب والسنة ولكن لما خالفتموه تعينتم للضلال وتعين للحق. ثم بعث عليّ عبد الله بن عباس إليهم وقال لا تراجعهم حتى آتيك، فلم يصبر

عن مكالمتهم وقال: ما نقمتم من أمر الحكمين وقد أمر الله بهما بين الزوجين فكيف بالأمة؟ فقالوا لا يكون هذا بالرأي والقياس فإنّ ذلك جعله الله حكما للعباد وهذا أمضاه كما أمضى حكم الزاني والسارق. قال ابن عباس، قال الله تعالى: {يحكم به ذوا عدل منكم }، قالوا: والأخرى كذلك، وليس أمر الصيد والزوجين كدماء المسلمين. ثم قالوا له: قد كنا بالأمس نقاتل عمرو بن العاص، فإن كان عدلاً فعلى ما قاتلناه؟ وإن لم يكن عدلا فكيف يسوغ تحكيمه؟ وانتم قد حكمتم الرجال في أمر معاوية وأصحابه، والله تعالى قد أمضى حكمه فيهم أن يقتلوا أو يرجعوا، وجعلتم بينكم الموادعة في الكتب وقد قطعها الله بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت براءة. ثم جاء عليّ إلى فسطاط يزيد بن قيس منهم بعد أن علم أنهم يرجعون إليه في رأيهم، فصلى عنده ركعتين وولاه على أصبهان والري.

ثم خرج إليهم وهم في مجلس ابن عباس فقال: من زعيمكم قالوا ابن الكوى! قال فما هذا الخروج؟ قالوا لحكومتكم يوم صفين. قال أنشدكم الله أتعلمون إنه لم يكن رأي، وإنما كان رأيكم مع أني اشترطت على الحكمين أن يحكما بحكم القرآن، فإن فعلا فلا ضير وإن خالفا فلا ضير ونحن براء من حكمهم. فقالوا فتحكيم الرجال في الدماء عدل؟ قال إنما حكمنا القرآن إلا أنه لا ينطق وإنما يتكلم به الرجال قالوا: فلم جعلتم الأجل بينكم؟ قال لعل الله يأتي فيه بالهدنة بعد افتراق الأمة فرجعوا إلى رأيه وقال: ادخلوا مصركم فلنمكث ستة أشهر حتى يجبى المال ويسمن الكراع ثم نخرج إلى عدونا فدخلوا من عند آخرهم.

أمر الحكمين

ولما انقضى الاجل وحان وقت الحكمين بعث عليّ أبا موسى الأشعري في أربعمائة رجل، عليهم شريح بن هاني الحارثي ومعهم عبد الله بن عباس يصلي بهم، وأوصى شريحا بموعظة عمرو. فلما سمعها قال متى كنت أقبل مشورة عليّ واعتد برأيه؟ قال: وما يمنعك أن تقبل من سيد المسلمين وأساء الرد عليه فسكت عنه. وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمائه من أهل الشام والتقوا بأذرح من دومة الجندل، فكان أصحاب عمرو أطوع من أصحاب ابن عباس لابن عباس حتى لم يكونوا يسألونه عن كتاب معاوية إذا جاءه. ويسأل أهل العراق ابن عباس ويتهمونه. وحضر مع الحكمين:

عبد الله بن عمرو عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام وعبد الرحمن بن يغوث الزهري وأبو جهم بن حذيفة العدوي والمغيرة بن شعبة وسعد بن أبي وقاص على خلاف فيه، وقيل ندم على حضوره فأحرم بعمرة من بيت المقدس.
ولفا اجتمع الحكمان قال عمرو لأبي موسى أما تعلم أن عثمان قتل مظلوما وأن معاوية وقومه أولياؤه؟ قال بلى! قال فما يمنعك منه وهو في قريش كما علمت؟ لان قصرت به السابقة قدمه حسن السياسة وإنه صهر رسول الله-صلى الله عليه وسلم وكاتبه وصاحبه والطالب بدم عثمان، وعرض بالولاية. فقال له أبو موسى يا عمرو اتق الله واعلم إن هذا الامر ليس بالشرف وإلا لكان لآل أبرهة بن الصباح، وإنما هو بالدين والفضل، مع أنه لو كان بشرف قريش لكان لعلي بن أبي طالب، وما كنت لأرى لمعاوية طلبه دم عثمان وأوليه وأدع المهاجرين الأولين. وأما تعريضك بالولاية، فلو خرج لي عثمان عن سلطانه ما وليته وما أرتشي في حكم الله.
ثم دعاه إلى تولية عبد الله بن عمر. قال له عمرو: فما يمنعك من ابني وهو من علمت؟ فقال له رجل صدق ولكنك غمسته في الفتنة. فقال عمرو: إن هذا الامر لا يصلح إلا لرجل له ضرس يأكل ولطعم- وكانت في ابن عمر غفلة-. وكان ابن الزبير بإزائه فنبهه لما قال. فقال ابن عمر لا أرشو عليها أبدأ! ثم قال أبو موسى يا ابن العاص إن العرب اسندت أمرها إليك بعد المقارعة بالسيوف، فلا تردهم في فتنة. قال له فخبرني ما رأيك؟ قال أرى أن نخم الرجلين ونجعل الامر شورى فيختار المسلمون لأنفسهم. فقال عمرو الرأي ما رأيت.ثم أقبلوا على الناس وهم ينتظرونهم وكان عمر وقد عود أبا موسى ان يقدمه لي الكلام لما له من الصحبة والسن. فقال يا أبا موسى أعلمهم أن رأينا قد اتفق فقال: إنا رأينا أمراً نرجو الله أن يصلح به الأمة فقال له ابن عباس: ويحك أظنه خدعك، فاجعل له الكلام قبلك، فأبى وقال: أيها الناس إنا نظرنا في أمر الأمة فلم نر اصلح لهم مما اتفقنا عليه، وهو أن نخع عليا ومعاوية ويولي الناس أمرهم من احثوا، وإني قد خلعتهما فولوا من أردتم ورأيتموه أهلا.
فقال عمرو: إن هذا قد خلع صاحبه وقد خلعته كما خلعه، وأثبت معاوية فهو ولي ابن عفان وأحق الناس بمقامه. ثم عدا ابن عباس وسعد على أبي موسى باللائمة وقال: ما أصنع غدرني ورجع باللائمة على

عمرو، وقال لا وفقك الله غدرت وفجرت. وحمل شريح على عمرو فضربه بالسيف وضربه ابن عمر كذلك. وحجز الناس بينهم فلحق أبو موسى بمكة وانصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية فسلموا عليه بالخلافة. ورجع ابن عباس وشريح إلى على بالخبر فكان يقنت إذا صلى الغداة ويقول: اللهم العن معاوية وعمراً وحبيبا وعبد الرحمن بن مخلد والضحاك بن قيس والوليد وأبا الأعور. وبلغ ذلك معاوية فكان إذا قنت يلعن عليا وابن عباس والحسن والحسين والأشتر.

أمر الخوارج وقتالهم

ولما اعتزم عليّ أن يبعث أبا موسى للحكومة، أتاه زرعة بن البرح الطائي وحرقوص بن زهير السعديّ من الخوارج وقالا له: تب من خطيئتك وارجع عن قضيتك واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم. وقال: عليّ: قد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً وعاهدناهم. فقال حرقوص: ذلك ذنب تبتغي التوبة منه. فقال عليّ: ليس بذنب ولكن عجز من الرأي. فقال زرعة: لئن لم تدع تحكيم الرجال لأقاتلنك أطلب وجه الله فقال على: بؤسا لك كأني بك قتيلا تسفى عليك الرياح قال: وددت لو كان ذلك، وخرجا من عنده يناديان لا حكم إلا لله.

وخطب عليّ يوما فتنادوا من جوانب المسجد بهذه الكلمة فقال على: الله أكبر كلمة حق أريد بها باطل. وخطب ثانيا فقالوا كذلك فقال: أما آن لكم عندنا ثلاثا ما صحبتمونا لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ولا الفيء ما دمتم معنا، ولا نقاتلكم حتى تبدأونا وننتظر فيكم أمر الله. ثم اجتمع الخوارج في منزل عبد الله بن وهب الراسبي فوعظهم وحرضهم على الخروج إلى بعض النواحي لإنكار هذه البدع، وتبعه حرقوص بن زهير في المقال. فقال حمزة بن سنان الازدي: الرأي ما رأيتم لكن لا بد لكم من أمير وراية، فعرضوها على زيد بن حصين الطائي ثم حرقوص ثم زهير ثم حمزة بن سنان ثم

شريح بن أبي أوفى العنسي فأبوا كلّهم ثم عرضوها على عبد الله بن وهب فأجاب فبايعوه لعشر خلون من شوّال. وكان يقال له ذو الثفنات.

ثم اجتمعوا في منزل شريح وتشاوروا وكتب ابن وهب إلى أهل البصرة منهم يستحث بهم على اللحاق بهم. ولما اعترفوا على المسير تعبدوا ليلة الجمعة ويومها وساروا، فخرج معهم طرفة بن عدي بن حاتم الطائي، واتبعه أبوه إلى المدائن فلم يقدروا عليه فرجع ولقيه عبد الله بن وهب في عشرين فارسا وأراد قتله فمنعه من كان معه من طيء.

وأرسل عليّ إلى عامل المدائن سعد بن مسعود يخبرهم فاستخلف ابن أخيه المختار بن أبي عبيد وسار في طلبهم في خمسمائة فارس، فتركوا طريقهم وساروا على بغداد، ولحقهم سعد بالكرخ مساء وجاءه عبد الله في ثلاثين فارسا وقاتلهم وامتنعوا. وأشار أصحابه بتركهم إلى أن يأتي فيهم أمر عليّ فأبى، ولفا جن عليهم الليل عبر عبد الله إليهم دجلة وسار إلى أصحابه بالنهروان، واجتمعت خوارج البصرة في خمسمائة رجل عليهم مسعر بن فدكي التميمي واتبعهم أبو الأسود الدؤلي بأمر ابن عباس، ولحقه ياقتتلوا حتى حجز بينهم الليل. فأدلج مسعر بأصحابه فلحق بعبد الله بن وهب بالنهروان، ولما خرجت الخوارج بايع عليا أصحابه على قتالهم. ثم أنكر شأن الحكمين فخطب الناس وقال: بعد الحمد لله والموعظة إلا أن هذين الحكمين نبذا حكم القرآن، واتبع كل واحد هواه، واختلفا في الحكم وكلاهما لم يرشد، فاستعدوا للسير إلى الشام.

وكتب إلى الخوارج بالنهروان بذلك، واستحثهم للمسير إلى العدو وقال: نحن على الأمر الأول الذي كنا عليه. فكتبوا إليه إنك غضبت لنفسك ولم تغضب لربك، فإن شهدت على نفسك بالكفر وتبت نظرنا بيننا وبينك، وإلا فقد نابذناك على سواء، فيئس عليّ منهم ورأى أن يمضي إلى الشام ويدعهم. وقام في الناس يحرضهم لذلك. وكتب إلى ابن عباس من معسكره بالنخيلة يأمره بالشخوص في العساكر والمقام إلى أن يأتي أمره. فأشخص ابن عباس الاحنف بن قيس في ألف وخمسمائة. ثم خطب ثانية وندب الناس وقال: كيف ينفر هذا العدد القليل وأنتم

ستون ألف مقاتل ثم تهددهم وأمرهم بالنفير مع جارية بن قدامة السعدي، فخرج معه ألف وستمائة ووافوا عليا في ثلاثة آلاف أو يزيدون.

ثم خطب أهل الكوفة ولاطفهم بالقول وحرضهم وأخبرهم بما فعل أهل البصرة مع كثرتهم وقال: ليكتب إلي كل رئيس منكم ما في عشيرته من المقاتلين من أبنائهم ومواليهم، فأجابه سعيد بن قيس الهمداني، ومعقل بن قيس وعدي بن حاتم وزياد بن خصفة وحجر بن عدي وأشراف الناس بالسمع والطاعة، وأمروا ذويهم الا يتخلف منهم أحد، فكانوا أربعين ألف مقاتل وسبعة عشر ألفا ممن بلغ الحلم. وانتهت عساكره إلى ثمانية وستين ألفاً. وبلغه أن الناس يرون تقديم الخوارج فقال لهم ة إن قتال أهل الشام أهم علينا لأنهم يقاتلونكم ليكونوا ملوكا جئارين، وليتخذوا عباد الله خولا فرجعوا إلى رأيه وقالوا: سر بنا إلى حيث شئت، وبينما هو على اعتزام السير إلى أهل الشام بلغه أن خوارج أهل البصرة لقوا عبد الله بن خباب من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من النهروان، فعرفهم بنفسه فسألوه عن أبي بكر وعمر فأثنى خيرا، ثم عن عثمان في أول خلافته وآخرها، فقال كان محقا في الأول والاخر، فسألوه عن عليّ قبل التحكيم وبعده فقال هو أعلم بالله وأشد توقيا على دينه. فقالوا إنك توالي الرجال على أسمائها ثم ذبحوه، وبقروا بطن امرأنه، ثم قتلوا ثلاث نسوة من طيء. فأسف عليا قتلهم عبد الله بن ضباب واعتراضهم الناس. فبعث الحرث بن مرة العبدي لينظر فيما بلغه عنهم فقتلوه، فقال له أصحابه: كيف ندع هؤلاء ونأمن غائلتهم في أموالنا وعيالنا، إنما نقدم أمرهم على الشام. وقام الأشعث بن قيس بمثل ذلك. فوافقهم عليّ وسار إليهم وبعث من يقول لهم إدفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم فنكف عنكم حتى نرجع من قتال العرب لعل الله يردكم إلى خير. فقالوا: كلنا قتلهم وكلنا مستحل دماءكم ودماءهم.

ثم جاءهم قيس بن سعد ووعظهم، وأبو أيوب الأنصاري كذلك. ثم جاءهم عليّ فتهددهم وسفه رأيهم، وبين لهم شأن الحكمين، وأنهما لما خالفا حكم

الكتاب والسنّة نبذنا أمرهما ونحن على الامر الأول فقالوا: إنا كفرنا بالتحكيم وقد تبنا، فإن تبت أنت فنحن معك وإن أبيت فقد نابذناك. فقال: كيف أحكم على نفسي بالكفر بعد إيماني وهجرتي وجهادي ثم انصرف عنهم. وقيل إن عليا خطبهم وأغلظ عليهم فيما فعلوه من الاستعراض والقتل، فتنادوا لا تكلموهم وتأهبوا للقاء الله. ثم قصدوا جسر الخوارج ولحقهم عليّ دونه.، وقد عبى أصحابه وعلى ميمنته حجر بن عدي وعلى ميسرته شبث بن ربعي أو معقل بن قيس، وعلى الخيل أبو أنوب وعلى الرجالة أبو قتادة، وعلى أهل المدينة، سبعمائة أو ثمانمائة، قيس بن سعد.

وعبأت نحوه الخوارج على ميمنتهم زيد بن حصين الطائي، وعلى الميسرة شريح بن أوفى العنسي وعلى الخيل حمزة بن سنان الأسدي، وعلى الرجالة حرقوص بن زهير. ودفع عليّ إلى أبي أيوب راية أمان لهم لمن جاءها ممن لم يقتل ولم يستعرض فناداهم إليها وقال: من انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن. فاعتزل عنهم فروة بن نوفل الاشجعي في خمسمائة وقال أعتزل حتى يتضح لي أمر في قتال عليّ، فنزل الدسكرة. وخرج آخرون إلى الكوفة، ورجع آخرون إلى عليّ وكانوا أربعة آلاف. وبقي منهم ألف وثمانمائة فحمل عليهم عليّ والناس حتى فزقهم على الميمنة والميسرة..

ثم استقبلتهم الرماة وعطفت عليهم الخيل من المجنبتين، ونهض إليهم الرجال بالسلاح فهلكوا كفهم في ساعة واحدة كأنما قيل لهم موتوا، وقتل عبد الله بن وهب وزيد بن حصن وحرقوص بن زهير وعبد الله بن شجرة وشريح بن أوفى. وأمر عليّ أن يلتمس المخدج في قتلاهم وهو الذي ذكره رسول الله- صلى الله عليه وسلم في علاماتهم، فوجد في القتلى. فاعتبر على وكبر واستبصر الناس وأخذ ما في عسكرهم من السلاح والدواب فقسمه بين المسلمين ورد عليهم المتاع والإماء والعبيد.

ودفن عدي بن حاتم ابنه طرفة ورجالاً من المسلمين فنهى على عن ذلك وارتحل ولم يفقد من أصحابه إلا سبعة أو نحوهم. وشكى إليه الناس الكلال ونفود السهام والرماح وطلبوا الرجوع إلى الكوفة ليستعدوا

فإنه أقوى على القتال. وكان الذي تولى كلامه الأشعث بن قيس فلم يجبه وأقبل فنزل النخيلة ومنعهم من دخول منازلهم حتى يسيروا إلى عدوهم، فتسللوا أيام المقامة إلى البيوت وتركوا المعسكر خاليا. فلما رأى عليّ ذلك دخل في ندبهم ثانيا فلم ينفروا فأقام أياما ثم كلم رؤساءهم عن رأيهم والذي يبطىء بهم فلم ينشط لذلك إلا القليل. فخطبهم وأغلظ في عتابهم وأعلمهم بما له عليهم من الطاعة في الحق والنصح فتثاقلوا وسكتوا.

ولاية عمرو بن العاص عليّ مصر

قد تقدم لنا ما كان من اجتماع العثمانية بنواحي مصر مع معاوية بن حديج الئكوني، وإن محمد بن أبي بكر بعث إليهم العساكر من الفسطاط مع ابن مضاهم فهزموه وقتلوه، واضطرمت الفتنة بمصر على محمد بن أبي بكر وبلغ ذلك عليا، فبعث إلى الأشتر من مكان عمله بالجزيرة وهو نصيبين فبعثه على مصر والشام: ليس لها غيرك. وبلغ الخبر إلى معاوية وكان قد طمع في مصر فعلم إنها ستمتنع بالأشتر. وجاء الأشتر فنزل على صاحب الخراج بالقلزم فمات هنالك، وقيل إن معاوية بعث إلى صاحب القلزم فسفه على أن يسقط عنه الخراج وهذا بعيد.

وبلغ خبر موته عليا فاسترجع واسترحم، وكان محمد بن أبي بكر لما بلغته ولاية الأشترشق عليه فكتب عليّ يعتذر إليه، وإنه لم يوله لسوء رأيه في محمد وإنما هو لما كان يظن فيه من الشدة. فقد صار إلى الله ونحن عنه راضون فرضي الله عنه وضاعف له الثواب، فاصبر لعدوك وشمر للحرب، وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وأكثر من ذكر الله والإستعانة به والخوف منه يكفيك ما أهمك ويعينك على ما ولاك فأجابه محمد بالرضا برأيه والطاعة لأمره. وأنه مزمع على حرابة من خالفه.

ثم لما كان من أمر الحكمين ما كان، واختلف أهل العراق على عليّ وبايع اهل الشام معاوية بالخلافة. فأراد معاوية صرف عمله إلى مصر لما كان يرجو من الاستعانة على حروبه بخراجها. ودعا بطانته أبا الأعور السلمي وحبيب بن مسلمة وبسر بن

أرطاة والضحّاك بن قيس وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وشرحبيل بن السمط وشاورهم في شأنها، فأشار عليه عمرو بافتتاحها. وأشار ببعث الجيش مع حازم صارم يوثق ويجتمع إليه من كان على رأيه من العثمانية.

فقال معاوية: بل الرأي أن نكاتب العثمانية بالوعد ونكاتب العدو بالصلح والتخويف، ونأتي الحرب بعد ذلك. ثم قال معاوية: إنك يا ابن العاص بورك لك في العجلة وأنا في التؤدة فقال: إفعل ما تراه وأظن الأمر لا يصير إلا للحرب. فكتب معاوية إلى معاوية بن حديج ومسلمة بن مخلد يشكرهما على الخلاف ويحثهما على الحرب والقيام في دم عثمان، وفرحا بجوابهما فطلب المدد فجمع أصحابه وأشاروا بذلك.

فأمر عمرو بن العاص أن يتجهز إلى مصر في ستة آلاف رجل ووصاه بالتؤدة وترك العجلة فنزل أدنى أرض مصر، واجتمعت إليه العثمانية. وبعث كتابه وكتاب معاوية إلى محمد بن أبي بكر بالتهديد، وإن الناس اجتمعوا عليك وهم مسلموك فأخرج فبعث بالكتابين الى على فوعده بإنفاذ الجيوش وأمره بقتال العدو والصبر. فقدم محمد بن أبي بكر كنانة بن بشر في ألفين ، فبعث معاوية عمرو بن حديج وسرحه في أهل الشام، فأحاطوا بكنانة فترجل عن فرسه وقاتل حتى استشهد. وجاء الخبر إلى محمد بن أبي بكر فافترق عنه أصحابه وفروا وآوى في مفره إلى خربة واستتر في تلك الخربة فقبض عليه، فأخذه ابن حديج وجاء به إلى الفسطاط وطلب أخوه عبد الرحمن من عمرو أن يبعث إلىابن حديج في البقاء عليما فأبى. وطلب محمد الماء فمنعه ابن حديج جزاء بما فعل بعثمان. ثم أحرقه في جوف حمار بعد أن لعف ودعا عليه وعلى معاوية وعمرو.

وكانت عائشة تقنت في الصلاة بالدعاء على قتله ويقال إنه لما انهزم اختفى عند جبلة بن مسروق حتى أحاط به معاوية بن حديج وأصحابه فخرج إليهم فقاتل حتى قتل. ولما بلغ الخبر عليا خطب الناس وندبهم إلى أعدائهم وقال: اخرجوا بنا إلى الجزعة بين الحيرة والكوفة. وخرج من الغد إلى منتصف النهار يمشي إليها حتى نزلها، فلم يلحق

به أحد، فرجع من العشي وجع أشراف الناس ووبخهم فأجاب مالك بن كعب الأرحبي في ألفين. فقال سر وما أراك تدركهم، فسار خمسا. ولحق حجاج بن عرفة الأنصاري قادما من مصر فأخبر بقتل محمد. وجاء إلى عليّ عبد الرحمن بن شبث الفزاري وكان عينا له بالشام. فأخبره بقتلى محمد واستيلاء عمرو على مصر فحزن بذلك وبعث إلى مالك بن كعب أن يرجع بالجيش. وخطب الناس فأخبرهم بالشبر وعذلهم على ما كان منهم من التثاقل حتى فات هذا الأمر ووبخهم طويلا ثم نزل.

دعاء ابن الحضرمي بالبصرة لمعاوية ومقتله

ولما افتتح معاوية مصر بعث عبد الله بن الحضرمي إلى البصرة داعيا لهم، وقد آنس منهم الطاعة بما كان من قتل عليّ إياهم يوم الجمل، وانهم على رأيه في دم عثمان وأوصاه بالنزول في مصر وأن يتودّد إلى الازد وحذره من ربيعة وقال: إنهم ترائبه ! يعني شيعة لعلي. فسار ابن الحضرمي حتى قدم البصرة.
وكان ابن عباس قد خرج إلى عليّ واستخلف عليها زياداً، ونزل في بنى تميم واجتمع إليه العثمانية فحضهم على الطلب بدم عثمان من عليّ. فقال الضحاك بن قيس الهلالي: قبح الله ما جئت به وما تدعو إليه، تحملنا على الفرقة بعد الاجتماع وعلى الموت ليكون معاوية أميرا؟ فقال له عبد الله بن حازم السلمي اسكت! فلست لها بأهل. ثم قال لأبن الحضرمي نحن أنصارك ويدك والقول قولك، فقرأ كتاب معاوية يدعوهم إلى رأيه من الطلب بدم عثمان على أن يعمل فيهم بالسنة ويضاعف لهم الأعطية. فلما فرغ من قراءته قام الاحنف بن قيس معتزلاً وحض عمر بن مرحوم على لزوم البيعة والجماعة. وقام العبّاس بن حجر في مناصرة ابن الحضرمي فقال له المثنى بن مخرمة :لا يغرنك ابن صحار وارجع من حيث جئت. فقال ابن الحضرمي لصبرة بن شيمان الازدي ألا تنصرني؟ قال لو نزلت عندي فعلت! ودعا زياد أمير البصرة حصين بن المنذر ومالك بن مسمع ورؤوس بكر بن وائل إلى المنعة من ابن الحضرمي إلى أن يأتي أفر عليّ، فأجاب حصين وتثاقل مالك وكان هواه في بني أمية. فأرسل زياد إلى صبرة بن شيمان يدعوه

إلى الجوار بما معه من بيت المال فقال: إن حملته إلى داري أجرتك فتحول إليه ببيت المال والمنبر، وكان يصلي الجمعة في مسجد قومه وأراد زياد اختبارهم فبعث إليهم من ينذرهم بمسيره إليهم، وأخذ زياد جندا منهم بعد صبره لذلك وقال: إن جاءوا جئناهم. وكتب زياد إلى علم بالخبر فأرسل أعين بن ضبيعة لنفرق تميما عن ابن الحضرمي، ويقاتل من عصاه بمن أطاعه. فجاء لذلك وقاتلهم يوما أو بعض يوم. ثم اغتاله قوم فقتلوه يقال من الخوارج.

ولاية زياد عليّ فارس

ولما قتل ابن الحضرمي بالبصرة والناس مختلفون على عليّ طمع أهل النواحي من بلاد العجم في كسر الخراج وأخرج أهل فارس عاملهم سهل بن حنيف فأشار عليّ الناس فأشار عليه جارية بن قدامة بزياد فأمر ابن عباس أن يوليه عليه فبعثه إليها في جيش كثيف فطوى بهم أهل فارس، وضرب ببعضهم بعضا وهرب قوم وأقام آخرون، وصفت له فارس بغير حرب. ثم تقدم إلى كرمان فدوخها مثل ذلك فاستقامت وسكن الناس ونزل اصطخر وسكن قلعة بها تسمى قلعة زيار.

فراق ابن عباس لعلي رضي الله عنه

وفي سنة أربعين فارق عبد الله بن عباس عليا ولحق بمكة وذلك أنه مر يوما بأبي الأسود ووبخه على أمر فكتب أبو الأسود إلى عليّ بأن ابن عباس استتر بأموال الله، فأجابه عليّ يشكره على ذلك. وكتب لابن عبّاس ولم يخبره بالكاتب، فكتب إليه

بكذب ما بلغه من ذلك وإنه ضابط للمال حافظ له. فكتب إليه عليّ: أعلمني ما أخذت ومن أين أخذت وفيما وضعت؟ فكتب إليه ابن عباس فهمت استعظامك لما رفع إليك إني رزأته من هذا المال فابعث إلى عملك من أحببت فإني ظاعن عنه، واستدعى أخواله من بني هلال فجاءته قيس كلها، فحمل المال وقال: هذه أرزاقنا واتبعه أهل البصرة ووقفت دونه قيس، فرجع صبرة بن شيمان الهمداني بالازد وقال قيس: إخواننا وهم خير من المال فأطيعوني.

وانصرف معهم بكر وعبد القيس، ثم انصرف الاحنف بقومه من بني تميم وحجز بقية بني تميم عنه ولحق ابن عباس بمكة.

مقتل عليّ رضي الله عنه

قتل عليّ رضي الله عنه سنة أربعين لسبع عشرة من رمضان، وقيل لأحدى عشرة، وقيل في ربيع الآخر والأول أصح. وكان سبب قتله أن عبد الرحمن بن ملجم المرادي والبرك بن عبد الله التميمي الصريمي واسمه الحجاج، وعمرو بن بكر التميمي السعدي: ثلاثتهم من الخوارج لحقوا من ففهم بالحجاز واجتمعوا فتذاكروا ما فيه الناس وعابوا الولاة وترخموا على قتلى النهروان وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم فلو شرينا أنفسنا وقتلنا أئمة الضلال وأرحنا منهم الناس.

فقال ابن ملجم:- وكان من مصر- أنا أكفيكم عليا وقال البرك أنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو بن بكر التميمي: أنا أكفيكم عمرو بن العاص وتعاهدوا أن لا يرجع أحد عن صاحبه حتى يقتله أو يموت. واتعدوا لسبع عشرة من رمضان وانطلقوا. ولقي ابن ملجم أصحابه بالكوفة فطوى خبره عنهم. ثم جاء إلى شبيب بن شجرة من أشجع ودعاه إلى الموافقة في شأنه. فقال شبيب: ثكلتك أمك فكيف تقدر على قتله؟ قال أكمن له في المسجد في صلاة الغداة، فإن قتلناه وإلا فهي الشهادة. قال ويحك لا

أجدني انشرح لقتله مع سابقته وفضله، قال ألم يقتل العباد الصالحين أهل النهروان؟ قال بلى. قال فنقتله بمن قتله منهم فأجابه. ثم لقي امرأة من تيم الرباب فائقة الجمال قتل أبوها وأخوها يوم النهروان فأخذت قلبه فخطبها فشرطت عليه عبدا وقينة وقتل على. فقال كيف يمكن ما أنت تريدين؟ قالت التمس غرته فإن قتلته شفيت النفوس وإلا فهي الشهادة قال: والله ما جئت إلا لذلك ولك ما سألت. قالت: سأبعث معك من يشد ظهرك ويساعدك، فبعثت معه رجلا من قومها إسمه وردان.

فلما كانت الليلة التي واعد ابن ملجم أصحابه على قتل على، وكانت ليلة الجمعة جاء إلى المسجد ومعه شبيب ووردان، وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها عليّ للصلاة. فلما خرج ونادى للصلاة علاه شبيب بالسيف فوقع بعضادة الباب، وضربه ابن ملجم على مقدم رأسه وقال: الحكم لله لا لك يا عليّ ولا لأصحابك، وهرب وردان إلى منزله وأخبر بعفى أصحابه بالأمر فقتله وهرب شبيب مغلساً. وصاح الناس به فلحقه رجل من حضرموت، فأخذه وجلس عليه والسيف في يد شبيب والناص قد أقبلوا في طلبه. وخشي الحضرمي على نفسه لاختلاط الغلس فتركه وذهب في غمار الناس.

وشد الناس على ابن ملجم، واستخلف على على الصلاة جعدة بن هبيرة وهو ابن أخته أم هانىء فصفى الغداة بالناس، وأدخل ابن ملجم مكتوفاً على عليّ فقال: ايه عدو الله ما حملك على هذا؟ قال شحذته أربعين صباحا وسألت الله أن يقتل به شر خلقه. فقال أراك مقتولا به! ثم قال إن هلكت فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيت رأيت فيه رأي. يا بني عبد المطلب لا تحرضوا على دماء المسلمين وتقولوا قتل أمير المؤمنين، لا تقتلوا الا قاتلي.

يا حسن! أنا إن مت من ضربتي هذه فاضربه بسيفه ولا تمثلن بالرجل فأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إياكم والمثلة. وقالت أم كلثوم لابن ملجم وهو مكتوف وهي تبكي: أي عدو الله لا بأس على أبي والله مخزيك، قال فعلام تبكين؟ والله لقد شريته بألف وصقلته أربعين، ولو كانت هذه الضربة بأهل بلد ما بقي منهم أحد.

وقال جندب بن عبد الله لعلى أنبايع الحسن إن فقدناك؟ قال ما آمركم به ولا أنهاكم انتم أبصر. ثم دعا الحسن والحسين ووصاهما قال: أوصيكما بتقوى الله، ولا تبغيا الدنيا وإن

بغتكما، ولا تأسفا على شيء زوى منها عنكما وقولا الحق وارحما اليتيم واعينا الضائع وكونا للظالم خصما وللمظلوم ناصرا، واعملا بما في كتاب الله ولا تأخذكما في الله لومة لائم. ثم قال لمحمد بن الحنفية إني أوصيك بمثل ذلك وبتوقير أخويك لعظيم حقهما عليك، ولا تقطع أمراً دونهما. ثم وصاهما بابن الحنفية، ثم أعاد على الحسن وصيته. ولما حضرته الوفاة كتب وصيته العامة ولم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض.

وأحضر الحسن ابن ملجم فقال له هل لك البقاء عليّ! وأني قد عاهدت الله أن اقتل عليا ومعاوية، وإني عاهدت الله على الوفاء بالعهد فخل بيني وبين ذلك، فإن قتلته وبقيت فلك عهد الله أن آتيك فقال لا والله حتى تعاين النار، ثم قدمه فقتله. وأما البرك فإنه قصد لمعاوية تلك الليلة، فلما خرج للصلاة ضربه بالسيف في إليته وأخذ فقال: عندي بشرى أتنفعني إن أخبرتك بها؟ قال نعم! قال إن أخا لي قتل عليا هذه الليلة. قال فلعله لم يقدر عليه؟ قال بلى إن عليا ليس معه حرس. فأمر به معاوية فقتل وأحضر الطبيب فقال: ليس إلا الكي أو شربة تقطع منك الولد فقال: في يزيد وعبد الله ما تقر به عيني، والنار لا صبر لي عليها.وقد قيل انه أمر بقطع البرك فقطع وأقام إلى أيام زياد فقتله بالبصرة. وعند ذلكاتخذ معاوية المقصورة، وحرس الليل، وقيام الشرطة على رأسه إذا سجد. ويقال إن أول من اتخذ المقصورة مروان بن الحكم سنة أربع وأربعين حين طعنه اليمانيّ.

وأمّا عمرو ابن بكر فإنّه جلس إلى عمرو بن العاص تلك الليلة فلم يخرج وكان اشتكى فأمر صاحب شرطته خارجة بن أبي حبيبة بن عامر بن لؤي يصلي بالناس فشد عليه فضربه فقتله، وهو يرى أنه عمرو بن العاص. فلما أخذوه وأدخلوه على عمرو قال: فمن قتلت إذا؟ قالوا خارجة فقال لعمرو بن العاص والله ما ظننته غيرك! فقال عمرو: وأردت عمرا وأراد الله خارجة. وأمر بقتله

وتوفي عليّ رضي الله عنه، وعلى البصرة عبد الله بن عبّاس، وعلى قضائها أبو الأسود الدؤلي، وعلى فارس زياد بن سمّية، وعلى اليمن عبيد الله بن العبّاس، حتى وقع أمر بسر بن

أبي أرطاة، وعلى مكة والطائف قثم بن عبّاس، وعلى المدينة أبو أيوب الأنصاري وقيل سهل بن حنيف.

بيعة الحسن وتسليمه الأمر لمعاوية

ولما قتل عليّ رضي الله عنه اجتمع أصحابه فبايعوا ابنه الحسن، وأول من بايعه قيس بن سعد وقال: أبسط يدك على كتاب الله وسنة رسوله وقتال الملحدين، فقال الحسن: على كتاب الله وسنة رسوله. ويأتيان على كل شرط ثم بايعه الناس، فكان يشترط عليهم إنكم سامعون مطيعون تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت. فارتابوا وقالوا: ما هذا لكم بصاحب وما يريد القتال. وبلغ الخبر بمقتل عليّ إلى معاوية فبويع بالخلافة ودعي بأمير المؤمنين، وكان قد بويع بها بعد اجتماع الحكمين. ولأربعين ليلة بعد مقتل عليّ مات الأشعث بن قيس الكندي من أصحابه. ثم مات من أصحاب معاوية شرحبيل بن السمط الكندي وكان عليّ قبل قتله قد تجهز بالمسلمين إلى الشام، وبايعه أربعون ألفا من عسكره على الموت. فلما بويع الحسن زحف معاوية في أهل الشام إلى الكوفة فسار الحسن في ذلك الجيش للقائه، وعلى مقدمتته قيس بن سعد في إثني عشر ألفا وقيل بل كان عبد الله بن عباس على المقدمة، وقيس في طلائعه.. فلما نزل الحسن في المدائن شاع في العسكر ان قيس بن سعد قتل، واهتاج الناس وماج بعضهم في بعفى، وجاءوا إلى سرادق الحسن ونهبوا ما حوله حتى نزعوه بساطه الذي كان عليه، واستلبوه رداءه، وطعنه بعضهم في فخذه. وقامت ربيعة وهمدان دونه واحتملوه على سرير إلى المدائن. ودخل إلى القصر وكاد أمره أن ينحل، فكتب إلى معاوية يذكر له النزول عن الأمر على أن يعطيه ما في بيت المال بالكوفة ومبلغه خمسة آلاف ألف، ويعطيه خراج دارابجرد من فارس وأن لا يشتم عليا وهو يسمع.

وأخبر بذلك أخاه الحسين وعبد الله بن جعفر، وعذلاه فلم يرجع إليهما. وبلغت صحيفته إلى معاوية فأمسكها، وكان قد بعث عبد الله بن عامر وعبد الله بن سمرة إلى الحسن ومعهما صحيفة بيضاء ختم في أسفلها وكتب إليه أن اشترط في هذه الصحيفة ما شئت فهو لك، فاشترط فيها اضعاف ما كان في الصحيفة. فلما سلم له وطالبه في الشروط أعطاه ما في الصحيفة الأولى وقال: هو الذي

طلبت. ثم نزعه أهل البصرة خراج دارا بجرد وقالوا: هو فيئنا لا نعطيه. وخطب الحسن أهل العراق وقال سخى نفسي عنكم ثلاث: قتل أبي وطعني وانتهاب بيتي، ثم قال الا وقد أصبحتم بين قبيلتين، قبيل بصفين يبكون له، وقبيل بالنهروان يطلبون بثأره. وأما الباقي فخاذل وأما الباكي فثائر. وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله بظبى السيوف، وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضى. فناداه الناس من كل جانب البقية الباقية فأمضي الصلح. ثم بايع لمعاوية لستة أشهر من بيعته، ودخل معاوية الكوفة وبايعه الناس. وكتب الحسن إلى قيس بن سعد يأمره بطاعة معاوية فقام قيس في أصحابه فقال: نحن بين القتال مع غير إمام أو طاعة إمام ضلالة فقال له الناس: طاعة الإمام أولى. وانصرفوا إلى معاوية فبايعوه وامتنع قيس وانصرف. فلما دخل معاوية الكوفة أشار عليه عمرو بن العاص ان يقيم الحسن للناس خطيبا ليبدو للناس عيه، فلما قدم حمد الله وقال: أيها الناس إن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وإن لهذا الأمر مدة، وإن الدنيا دول والله عز وجل يقول لنبيه: {وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين }[الأية....] فقال له معاوية: إجلس. وعرف أنه خدع في رأيه. ثم ارتحل الحسن في أهل بيته وحشمهم إلى المدينة، وخرج أهل الكوفة لوداعه باكين فلم يزل مقيما بالمدينة إلى أن هلك سنة تسع وأربعين. وقال أبو الفرج الأصبهاني سنة إحدى وخمسين، على فراشه بالمدينة. وما ينقل من أن معاوية دس إليه السم مع زوجته جعدة بنت الأشعث فهو من أحاديث الشيعة، وحاشا لمعاوية من ذلك.

وأقام قيس بن سعد على امتناعه من البيعة، وكان معاوية قد بعث عبد الله بن عامر في جيش إلى عبيد الله بن عباس لما كتب إليه في الأمان بنفسه فلقيه ليلا وأمنه وسار معه إلى معاوية فقام بأمر العسكر بعده قيس بن سعد، وتعاقدوا على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة على على دمائهم وأموالهم وما كانوا أصابوا في الفتنة. وبلغ الخبر إلى معاوية وأشار عليه عمرو في قتاله، فقال معاوية: يقتل في ذلك أمثالهم من أهل الشام ولا خير فيه، ثم بعث إليه بصحيفة ختم في أسفلها وقال: اكتب في هذا ما شئت فهو لك: فكتب قيس له ولشيعته الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال،

ولم يسأل مالا، فأعطاه معاوية ذلك وبايعه قيس والشيعة الدين معه، ثم جاء سعد بن أبي وقّاص فبايعه واستقرّ الأمر لمعاوية واتفق الجماعة على بيعته وذلك في منتصف سنة إحدى وأربعين، وسمّى ذلك العام عام الجماعة من أجل ذلك. ثم خرج عليه الخوارج من كل جهة من بقية أهل النهروان وغيرهم، فقاتلهم واستلحمهم كما يأتي في أخبارهم على ما اشترطناه في تأليفنا من افراد الأخبار عن الدول وأهل النحل دولة دولة وطائفة طائفة.

وهذا آخر الكلام في الخلافة الإسلامية وما كان فيها من الردة والفتوحات والحروب ثم الاتفاق والجماعة، اوردتها ملخصة عيونها ومجامعها من كتاب محمد بن جرير الطبري وهو تاريخه الكبير فإنه أوثق ما رأيناه في ذلك وأبعد من المطاعن عن الشبه في كبار الأمة وخيارهم وعدولهم من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين. فكثيراً ما يوجد في كلام المؤرخين أخبار فيها مطاعن وشبه في حقهم أكثرها من أهل الأهواء، فلا ينبغي أن تسود بها العيون. وابعتها بمفردات من غير كتاب الطبري بعد أن تخيرت الصحيح جهد الطاقة، وإذا ذكرت شيئا في الأغلب نسبته إلى قائله. وقد كان ينبغي أن تلحق دولة معاوية واخباره بدول الخلفاء وأخبارهم فهو تأليهم فى الفضل والعدالة والصحبة، ولا ينظر في ذلك إلى حديث: الخلافة بعدي ثلاثون، فإنه لم يصخ. والحق إن معاوية في عداد الخلفاء وإنما أخره المؤرخون في التأليف عنهم لأمرين:

الأول: إن الخلافة لعهده كانت مغالبة لأجل ما قدمناه من العصبية التي حدثت لعصره، وأما قبل ذلك فكانت اختيارا واجتماعاً، فميزوا بين الحالتين. فكان معاوية أول خلفاء المغالبة والعصبية الذين يعبر عنهم أهل الأهواء بالملوك، ويشبهون بعضهم ببعض، وحاشى لله أن يشبه معاوية بأحد ممن بعده. فهو من الخلفاء الراشدين ومن كان تلوه في الدين والفضل من الخلفاء المروانية ممن تلاه في المرتبة كذلك وكذلك من بعدهم من خلفاء بني العبّاس. ولا يقال: إن الملك أدون رتبة من الخلافة، فكيف يكون خليفة ملكا.

واعلم أن الملك الذي يخالف بل ينافي الخلافة هي الجبروتية والمعبر عنها بالكسروية التي أنكرها عمر على معاوية حين رأى ظواهرها. وأما الملك الذي هو الغلبة والقهر بالعصبية والشوكة فلا ينافي الخلافة ولا النبوة، فقد كان سليمان بن داود وأبوه صلوات

الله عليهما نبيين وملكين وكانا على غاية الاستقامة في دنياهما وعلى طاعة ربهما عز وجل. ومعاوية لم يطلب الملك ولا أبهته للإستكثار من الدنيا، وإنما ساقه أمر العصبية بطبعها لفا استولى المسلمون على الدولة كلها، وكان هو خليفتهم فدعاهم بما يدعو الملوك إليه قومهم عندما تستعمل العصبية وتدعو لطبيعة الملك.

وكذلك شأن الخلفاء أهل الدين من بعده إذا دعتهم ضرورة الملك إلى استعمال أحكامه ودواعيه. والقانون في ذلك عرض أفعالهم على الصحيح من الأخبار، لا بالواهي. فمن جرت أفعاله عليها فهو خليفة النبي-صلى الله عليه وسلم في المسلمين، ومن خرجت أفعاله من ذلك فهو من ملوك الدنيا. وإن سمي خليفة في المجاز.

الأمر الثاني: في ذكر معاوية مع خلفاء بني أمية دون الخلفاء الأربعة انهم كانوا أهل نسب واحد، عظيمهم معاوية فجعل مع أهل نسبه والخلفاء الأوّلون مختلفو الأنساب، فجعلوا في نمط واحد، وألحق بهم عثمان وإن كان من أهل هذا النسب للحوقه بهم قريبا في الفضل، والله يحشرنا في زمرتهم ويرحمنا بالاقتداء بهم.

ما ورد في نسخة باريس زيادة عن نسخة طبع بولاق

كمل بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه على يد كاتبه العبد الفقير، المقر بالعجز والتقصير، الراجي عفو ربه العليم الخبير، المسرف على نفسه بالتقصير، عبد الله بن محمد بن الصايم التلمساني. اسكنه الله بفضله دار الأماني ويغفر له ولوالديه ولمشايخه ولمن كان السبب في نسخه، ولمن دعا لهم بالمغفرة، ولجميع المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات. والصلاة الدائمة على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين والرضا عن آله وصحبه أجمعين، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وكان الفراغ منه عشية يوم الأحد لعشرين مضت من ربيع الاخر سنة 1192هـ اثنين وتسعين ومایة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم انتهى.